



عناصر الموضوع

777	مفهوم السماحة
777	الألفاظ ذات الصلة
770	السماحة في الدين
400	السماحة مع المخالفين للدين
409	سماحة الإسلام في العلاقات الاجتماعية
770	السماحة في الخصومات
417	جزاء أهل السماحة في الدنيا والأخرة

مفهوم السماحة

أولًا: المعنى اللغوي:

أصل مادة (س م ح) تدل على «سلاسة وسهولة. يقال: سمح له بالشيء. ورجل سمح، أي: جواد، وقوم سمحاء ومساميح. ويقال: سمح في سيره، إذا أسرع»(١). فالسَماحُ والسَماحَةُ: الجود. وسَمَحَ به: أي جاء به. وسَمَحَ لي: أعطاني (٢). ومعنى الحَنِيفيَّة السَّمْحَةُ: ليس فيها ضيق ولا شدَّة (٣).

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

عرفها الجرجاني بقوله: «السماحة هي بذل ما لا يجب تفضّلًا»(٤).

وعرفها الشيخ فالح الصغير بقوله: «تطبيق الأحكام الشرعية بصورة معتدلة، كما جاءت في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، من غير تشدّد يحرّم الحلال، ولا تميّع يحلّل الحرام»(٥).

وهو تعريف جميل، ويحمل معاني قوية حاسمة لمدلول هذا المصطلح؛ لكنه -وإن كان عامًّا- إلا أن القارئ يستشعر من هذا التعريف أنه يختص بالأحكام الشرعية، وبجوانب تتعلق بالعبادات والمعاملات، غير أن البحث الذي نحن بصدده يتعلق بالسماحة كخلق تهذيبي للنفس، وبالتالي فإن هذا التعريف لم يظهر هذا الجانب بوضوح وجلاء.

ويمكن أن يقال في تعريف السماحة في الاصطلاح: التطبيق العملي لمنهج الإسلام، بما يضمن بيان مقاصد الدعوة إلى الله تعالى، التي تحث على الاعتدال من غير تشدّد يحرّم الحلال، ولا تميّع يحلل الحرام في شتى مناحي الدين الإسلامي.

⁽١) مقاييس اللغة، ابن فارس ٣/ ٩٩.

⁽٢) الصحاح، الجوهري ١/ ٣٧٦.

⁽٣) تهذيب اللغة، الأزهري ٢٠١/٤.

⁽٤) انظر: التعريفات، الجرّجاني ص١٢١.

⁽٥) اليسر والسماحة في الإسلام ص٧.

الألفاظ ذات الصلة

١ اليسر:

اليسر لغة:

تدل كلمة اليسر في اللغة على السهولة واللين والانقياد(١١).

اليسر اصطلاحًا:

لا يخرج عن معناه اللغوي، قيل: عمل فيه لين وسهولة وانقياد ، أو هو رفع المشقة والحرج عن المكلف بأمر من الأمور لا يجهد النفس ولا يثقل الجسم (٢)، وقيل: «التخفيف في الأحكام الشرعية، في أصلها أو بسبب ما طرأ عليها».

الصلة بين اليسر والسماحة:

يشتركان في معنى السهولة والسلاسة ورفع الحرج والضيق والمشقة، وربما يكون اليسر من السماحة.

٢ العقو:

العفو لغة:

العفو مصدر عفا يعفو عفوًا، والعفو يطلق على معنيين أصليين: أحدهما: ترك الشيء، والآخر: طلبه (٣).

العفو اصطلاحًا:

هو التجافي عن الذنب، ومن ذلك قولهم في الدعاء: أسألك العفو والعافية . أي: أسألك ترك العقوبة، وأسألك السلامة (٤).

وقيل: كفّ الضّرر مع القدرة عليه، وكلّ من استحقّ عقوبة فتركها، فقد عفا^(٥).

الصلة بين العفو والسماحة:

قيل: العفو هو إسقاط العقوبة بدون إسقاط الذنب. والمسامحة: هو إسقاط المؤاخذة واللوم بغض النظر عن إسقاط العقوبة عن المذنب؛ وذلك أن أصل المسامحة هو السماح،

⁽١) انظر: الصحاح، الجوهري ٢/ ٤٢٢، القاموس المحيط، الفيروز آبادي ص ٤٩٩.

⁽٢) تاج العروس، الزبيدي ٦/ ٤٨٤.

⁽٣) انظر: مقاييس اللغة، أبن فارس ٤/ ٥٦، جمهرة اللغة، ابن دريد ٢/ ٩٣٨.

⁽٤) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص٣٣٩.

⁽٥) انظر: الكليات، الكفوي ص ٥٣، ٩٨٥.

أي: الجود، فالمسامح قد جاد على المذنب بأن ترك المؤاخذة.

٣ الصفح:

الصفح لغة:

يعني ثلاثة معان، وهي: الجانب، والإعراض والترك، والعفو(١).

الصفح اصطلاحًا:

هو التجاوز عن المذنب تماماً بترك مؤاخذته وعقابه.

وقيل: «هو ترك التأنيب» ^(۲).

الصلة بين الصفح والسماحة:

أصل الصفح هو إبداء صفحة جميلة من الوجه ومنه قلب الصفحة أيضًا؛ لذا قيل: «الذي يصفح كأنه يولي بصفحة العنق»، إعراضًا عن الإساءة، فالصفح أعلى من العفو والمسامحة.

⁽٢) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ص ٤٥٧.



⁽١) انظر: تاج العروس، الزبيدي ٦/ ٥٣٩.

السماحة في الدين

أولًا: السماحة في الاعتقاد:

عرض القرآن الكريم مفهوم السماحة في الاعتقاد، عبر أروع جوانبها، وذلك على النحو الآتى:

١. ذكرٌ أمين الأقوال الكفار.

بما فيه مؤامرات مبيّتة على الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته، ومن ثم الرد المطوّق لكافة ادّعاءاتهم، وكلّ هذا بأسلوب الرد الدعويّ، الذي ينير الطريق، ولا يقف عند الأحقاد.

ومثال هذا قوله تعالى: ﴿ وَقَالَت طَآبِهَا أَلَيْنَ الْمُلِ الْكِتنَبِ عَامِنُواْ بِالَّذِينَ أُولِ عَلَى الْلَيْنِ الْمَوْدُ وَالْمُدُواْ عَلَمُواُ وَجْهَ النّهَارِ وَالْكُفُرُواْ عَاخِرُهُ لَعَلَهُمْ يَرْجِعُونَ الْمَانُواْ وَجْهَ النّهَارِ وَالْكُفُرُواْ عَاخِرُهُ لَعَلَهُمْ يَرْجِعُونَ اللّهِ أَن يُؤْقَ الْمَدُ فَيْ اللّهِ أَن يُؤْقَ الْمَدُ فَيْقَلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ بُعَاجُولُمُ هُمُ هُدَى اللّهِ أَن يُؤْقَ الْمَدُ فِيقَالَ مِن تَبِعَ دِينَكُر قُلْ إِنّ الْهُلَكَ عِن هُدَى اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن عِندَ رَبِيكُمْ أَقُلُ إِنّ الْفَضْلِ الْمَالَةُ وَاللّهُ وَمِنْ عَلَيْهُ إِنّ الْفَضْلِ الْمَعْلَمِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن اللّهُ الْمُؤْتِيةِ إِلَيْكَ اللّهَ اللّهُ وَاللّهُ وَمِنْ اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّهُ ال

فإن هذه الآيات ذكرت مدلولات عظيمةً للسماحة في الاعتقاد، وذلك أن الآية الثانية والسبعين تذكر أن اليهود قال بعضهم لبعض: أظهروا الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم أول النهار، واكفروا به آخره؛ ليتم التشكيك بدعوة الإسلام.

ومن ثمّ -حسب أمانيّ اليهود- يرجع هؤلاء الموحدون عن إيمانهم، ونصرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم يمارس أولئك اليهود أحقادهم الخفية، وذلك بأمرهم لأتباعهم ألّا يتأثروا بدعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما يكون الإيمان لمن تبع دينكم، فيأتي الرد الربانيّ بأن الهدى الحقيقي هو هدى الله تعالى ونحن عليه.

«فالمعنى أن علماء اليهود قالت لهم: لا تصدقوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، أي لا إيمان لهم ولا حجة، فعطف على المعنى من العلم والحكمة والكتاب والحجة والمن والسلوى وفلق البحر وغيرها من الفضائل والكرامات، أي: أنها لا تكون إلا فيكم فلا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا من تبع دينكم»(١) حتى تكون لهم حجة عند الله تعالى.

فيكون الرد أن سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم مأمور من الله تعالى أن يقول

⁽١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١١٣/٤.

لهم بأن الفضل والتكرم بيد الله تعالى، لا بيد غيره، والله واسع عليم، فله اختصاص الرحمة لمن يشاء من عباده، والله ذو الفضل العظيم، ويشعر بذلك من يهتدي إلى الحق(١١).

وتأمّلنا في تلك الألفاظ يجعلنا نعيش مع جمال أسلوب الدعوة مع المتآمرين، ثم يبين الله تعالى لنا منهجية الإنصاف في الحكم عليهم، فإن من أهل الكتاب، من يؤمّن في المال ولو بقنطار وما دونه؛ فهو يؤدّيه إلى صاحبه دون مماطلة، ومنهم يؤدّيه إلى صاحبه دون مماطلة، ومنهم المال؛ فإنه يبقى مماطلًا إلا إذا طالبت ولازمت، وألححت لاستخلاص حقك، وإن الذي جعلهم يجحدون الحقوق أنهم ظنّوا -كذبًا- أنّه لا حرج عليهم أن يفعلوا ذلك مع الأميين، -وهم العرب-، مدّعين ذلك مع الأميين، -وهم العرب-، مدّعين أن الله أحلها لهم، فهم يعلمون علم اليقين بأنهم كذّابون في ادّعائهم (٢).

ثم تستطرد هذه الآيات مبينة سماحة الإسلام العظيم، وذلك ببيان أنه ليس الأمر كما قالوا، ولفظة (بلي) لمجرد نفي ما قبلها، وعلى هذا فإن من أوفى بعهده والتزاماته، فإن الله تعالى يحب المتقين، وهي صفة إيمانية تقرّب قلوب الحيارى منهم إلى

الدين (۳).

لا يجبر الإنسان على الإيمان شرط ألّا يكون محاربًا، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِينِ قَد تَبْيَنَ الرُّشَدُ مِن الْغَيَ أَفَى مَن يَكُفُر إِلْطَاعُوتِ وَيُؤْمِرِ لَ بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْمُهُوَ الْوُثْقَىٰ لا انفِصامَ لَمَا وَاللّهُ سَمِيعً عَلِم ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فإن هذه الآية الكريمة قد اختلف في تفسيرها^(٤).

وذكر ابن كثير بأنّ المعنى: «لا تكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بيّنٌ واضحٌ جليٌّ دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحدٌ على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورًا» (٥).

وقد ذكرت كتب التفسير عددًا من الأحداث التي كانت سببًا لنزول هذه الآية، وكلها سليمة الدراية، لكننا سنذكر حدثًا واحدًا ذكره الواحدي، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المرأة من نساء الأنصار تكون عندها مشكلة في الإنجاب، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن

⁽١) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي ٢/ ٢٣.

⁽٢) انظر : تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٦٠.

⁽٣) انظر: لباب التأويل، الخازن ١/ ٢٦١.

⁽٤) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢/ ٩٧/، فتح القدير، الشوكاني ١/ ٣١٥.

⁽٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ٦٨٢.

تهوده، فلما أجليت النضير، كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية (١).

الرخصة لمن أكره على الكفر شرط ألّا ينشرح الصدر به، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِأَللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَننِهِ إِلّا مَنْ أَكْرَهُ مَن كَفَرَ بِأَللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَننِهِ إِلّا مَنْ أَكُوبُ مَن كَفَر وَلَلْكِن مَن أَكُوبُ مَن مَن شَرَح بِاللّهُ مِنْ اللّهِ مَن اللّهِ وَلَكُمْن مَن اللّهِ وَلَكُمْن مَن اللّهِ وَلَكُمْن مَن اللهِ وَلَهُمْ مَن اللهِ وَلَكُمْن مَن اللهِ وَلَكُمْن مَن اللهِ وَلَكُمْن مَن اللهِ وَلَكُمْن مَن اللهِ وَلَهُمْنَ مُن اللّهُ وَلَكُمْن مَن اللّهُ وَلَيْ اللّهُ وَلَكُمْن مَن اللّهُ وَلَيْ اللّهُ وَلَيْ اللّهُ وَلَيْ اللّهُ وَلَيْ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَهُمْ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا لَهُ وَلَا اللّهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَيْ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا لَهُ وَلَا اللّهُ وَلَيْ اللّهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَا لَهُ وَلِيْ اللّهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَكُونُ مَن اللّهُ وَلَا لَهُ وَلَهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَكُونُ مَن اللّهُ وَلَالُكُونُ وَلَا لَكُونُ وَلَا لَهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَا لَا اللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا لَا لَا اللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلَا لَا لَا اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلَا لَا لَا اللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَلِلْمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا لَا لَا اللّهُ وَلَا لَا لَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَلِلْمُ اللّهُ وَلِمُ لَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِمْ لَا اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلِمُ لَا اللّهُ وَلِمُ لَا اللّهُ وَلِي لَا لَا اللّهُ وَلِهُ لَا اللّهُ وَلِهُ لَاللّهُ وَلّهُ وَلّهُ لَا اللّهُ وَلَ

حيث إنه لمّا بيّنت الآية السابقة الذين لا يؤمنون مطلقًا، بل إن من صفاتهم أنهم عريقون في الكذب ظاهرًا وباطنًا؛ تذكر هذه الآية الكريمة صنفًا من هؤلاء الكاذبين الكفار، فهم أشد خطرًا، سواء أكانوا مؤمنين بالفعل ثم كفروا، أو أنهم أقيمت الحجة عليهم عبر الأدلة الكثيرة الموجبة للإيمان، ولكن هذا الكافر جحد بالله تعالى، واستكبر على آياته الكونية والمتلوة، لكن سماحة الإسلام تتضح هنا، وذلك من خلال أن الذي كفر من لسانه خوفًا على حياته، فإنه معفوٌّ عنه، مع أولوية الأخذ بالعزيمة، إن كان في ذلك إغاظة لأعداء الله تعالى، ويشترط لمن أكره على الكفر ألّا يكون صدره منشرحًا بذلك، فإن من كان كذلك، فهو الكاذب، وعليه غضب من الله تعالى،

ولهم عذاب عظيم(٢).

«قال ابن عباس: نزلت في عمار بن ياسر، وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسرًا، وأمه سمية، وصهيبًا، وبلالًا وخبابًا، وسالمًا؛ فعذَّبوهم، فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين، وجيء قُبُلُها بحربة، وقيل لها: إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت، وقتل زوجها ياسر، وهما أول قتيلين قتلا في الإسلام، وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهًا، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم، بأن عمارًا كفر، فقال: (كلا، إن عمارًا ملئ إيمانًا من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه)، فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى، فجعل رسول الله عليه الصلاة والسلام يمسح عينيه، وقال: (إن عادوا لك فعد لهم بما قلت) (٣)، فأنزل الله تعالى هذه الآية ١٤٠٤).

٢. الدين يؤاخي بين المؤمنين.

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً فَأَصْلِحُوا بَيْنَ ٱلْخَوَيْكُرُ وَاتَّفُوا ٱللَّهَ لَمَلَّكُرُ إِخْوَةً فَأَصْلِحُوا بَيْنَ ٱلْخَوَيْكُرُ وَاتَّفُوا ٱللَّهَ لَمَلَّكُرُ مُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠].

⁽٢) انظر: نظم الدرر، البقاعي ٢٥٨/١١.

⁽٣) ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أن هذا الحديث مرسل، ورجاله ثقات.

انظر: فتح الباري، ابن حجر ٣١٢/١٢. وورد موصولًا في المستدرك للحاكم عن محمد بن عمار عن أبيه رقم ٣٣٦٢ قال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

⁽٤) أسباب النزول، الواحدي ص٧٨١.

⁽١) انظر: أسباب النزول، الواحدي ص٨٣.

«أي: إنما المؤمنون إخوة في الدين؛ فأصلحوا بينهم إذا اقتتلوا؛ بأن تحملهم على حكم كتاب الله عز وجل (()) وإن الأسلوب هنا أسلوب حصري، يحصر ضابط أخوة الدين على المؤمنين، وإن المؤمنين بعضهم أولياء بعض؛ لأنهم يتعاونون على جامع الخير، وينتهون عن جامع الشر، كما قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْمُمُ أَوَلِياً لَهُ اللهُ وَرَسُولَهُ وَالْمَؤْمِنَاتُ بَعْمُهُمُ اللهُ وَرَسُولَهُ أَوْلَيَاكُ النوبة: (٧].

٣. وجوب إجارة المستجير.

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدُّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللّهِ ثُمَّ ٱلْلِغَهُ مَأْمَنَةً، ذَلِكَ بِأَنْهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٢].

فقد ذكرت الآية الكريمة أنه إذا استجار أيَّ من المشركين الذين أمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم بقتالهم، فإنه يؤمر بتأمينه، حتى يسمع كلام الله، ويقرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، ويذكر له شيئًا من جوانب الدين وسماحته، ثم يبقى حتى يبلغ المكان الآمن، فهم لا يعلمون شيئًا عن الدين ابن عبّاس، عن النبيّ

- (۱) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ۷۰۰۱/۱۱
- (٢) انظر: التفسير الحديث، محمد عزت دروزة ٣٥٨/٩.

صلى الله عليه وسلم قال: (المسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، يسعى بذمّتهم أدناهم، ويرد على أقصاهم)(٣).

وجوب استقامة العهد مع الذين عو هدوا من قبل المسلمين.

قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهَدُّ عِندَ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِيَهِ إِلّا اللّهِينَ عَهَدَتُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْمُرَامِّ فَمَا اسْتَقَدَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَمُمَّ إِنَّ اللّهَ يُحِبُ المُتَقِينَ﴾ [التوبة: ٧].

حيث تبين هذه الآية الكريمة أن من بقي ملتزمًا بعهده، -رغم نقض الآخرين كبني كنانة، وبني ضمرة يوم الحديبية-؛ فإن الدين يلزمنا أن نستقيم بالعهد مع من كان مستقيمًا بالعهد من المشركين، فإن الله تعالى يحب المتقين (٤).

شرح آیات القرآن الکریم أصول الاعتقاد.

حتى يبقى المنهج الإسلامي واضحًا لا يعتريه أيّ نقص أو اختلاف، فهو من عند

⁽٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر، ٣/ ٨٠، رقم ٢٧٥١، وابن ماجه في سننه، كتاب الديات، باب المسلمون تتكافأ دماؤهم، ٢/ ٨٩٥، رقم ٢٦٨٣.

وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ٢/١١٣٧، رقم ١٧١٢.

⁽٤) انظر: التفسير الميسر، مجمع الملك فهد ص١٨٨.

عليم حكيم، ولذلك فقد تم الخلوص إلى نتيجة، وهي أن جوهر الاعتقاد سماحة، وصدق الله تعالى، حيث يقول: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئُلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ حُجَّةً بعَدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥].

ثانيًا: السماحة في التشريع:

إن الشريعة المقصودة، هي تلك الممارسة الإيمانية الصادقة للاعتقاد الرباني، وقد توسّع الخطاب القرآني في بيان سماحة الإسلام في كل تشريع من التشريعات الإسلامية، وهذه بعضها:

١. عدم تحميل النفس ما لا تطيق.

قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسُعَهَا لَهُ نَفْسًا إِلَّا وُسُعَهَا لَهَا مَا كُسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أَكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُوسَعَهَا لَهَا مَا كُسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أَكْتَسَبَتْ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلَ تُواعِدُ نَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَى أَنَا رَبّنَا وَلَا تَحْمِلَ عَلَيْنَا إِنْ اللّهِ مَنْ اللّه عَلَى اللّه عَلَى

حيث تبدأ هذه الآية بجملة استثنافية على الأرجح؛ لتقرر أن الله تعالى هو الذي يقول: بأنه لا يكلف الله تعالى نفسًا بما لا تطيق، فإن ثمرة التزام الصحابة بما لا يستطيعون أن الله تعالى صرف عنهم الحرج، ورفع عنهم

ما لا يطيقون (١).

٢. آيات كثيرة تتحدث عن الرخص. منها قوله تعالى: ﴿ قُل لا آجِدُ فِي مَا أُوحِى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَا اللَّا اللَّالَةُ اللَّاللَّهُ الللَّهُ اللَّا اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

حيث ذكر الإمام السيوطي نقلًا عن الإمام الشافعي أن هذه الآية لا تعني أن الحرام من المطعومات فقط في هذه الآية، وإنما تعني أن الكفار كانوا على المحادة والمضادة، كأن تقول لواحد: لا تأكل اليوم حلاوة، فيقول لك: لا آكل اليوم إلا حلاوة، وفي ذلك يقول إمام الحرمين: ولولا سبق الإمام الشافعي لما استطعنا أن نستجيز مخالفة الإمام مالك في جواز أكل الكلاب(٢).

وإن هذه الآية -كما آيات الرّخص-تذكر بوضوح عظمة السماحة التي تميّزت بها الشريعة السمحة، وذلك أن الشريعة لم تأت لتحريم كل شيء، وإنما لضبط المنفعة في الدنيا والآخرة، بما يكفل سعادة حقيقية دائمة للفرد والمجتمع.

⁽۱) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣/ ١٣٤، الموسوعة القرآنية، إبراهيم الأبياري ٩/ ٢٠٤.

⁽٢) انظر: الاتقان، السيوطي ١/١١٠.

٣. التدرج في التشريع.

وقد حفل القرآن الكريم بشواهد كثيرة للتدرج، بما يعزز مفهوم السماحة، ومدلولها من الناحية العملية، ومثال هذا آيات الخمر، حيث ذكرت الآيات الأربعة، وتوضيح ذلك:

أن الآية الأولى نزلت في مكة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَتِ النَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَابِ لَنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَابِ لَنَّخِيلُونَ مِنْهُ سَكَّرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمِ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل: ٢٧].

حيث بينت هذه الآية المكية أنّ السكر مبغضٌ إلى أهل الإيمان، ولكن الله تعالى أشار إلى ذلك؛ تركًا للزمان، فهو في هذه الأزمان كان محل عفو(١).

وقد جاءت الآية الثانية في المدينة في أول الهجرة؛ وهي قوله تعالى: ﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمُ كَبِيرُ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِنْمُهُمَا آكُبُرُ مِن نَفْعِهِمَا وَمَنَافِعُ لِلنَّامِ اللَّهُ لَكُمُ الْآلِيَتِ لَمَلَّكُمْ تَلُو المَا لَكُمُ الْآلِيَتِ لَمَلَّكُمْ تَلَقَالُكُونَ ﴾ والبقرة: 119].

حيث ذكرت هذه الآية المفاسد وتركت للخلق الحكم عليها؛ إذ كانت الخمر جزءًا لا يتجزأ من عاداتهم التي ألفوها(٢).

ثم جاءت الآية الثالثة؛ لتضع تطبيقًا

عمليًّا تدريجيًّا لمنع الخمر، -إذ إن هذا بإلف عادتهم-، فقامت بحصر الأوقات، وتضييقها؛ لمنع الخمر وتعاطيها (٣).

وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ الْمَنْوَا لَا تَقْرَبُوا الصَّكَلَوْةَ وَأَنتُمْ سُكَنَرَىٰ حَقَّ تَعَلَمُوا مَا نَقُولُونَ وَلَاجُنُبًا إِلَّا عَابِي سَبِيلٍ حَقَّىٰ تَعْلَمُوا مَا نَقُولُونَ وَلَاجُنُبًا إِلَّا عَابِي سَبِيلٍ حَقَّىٰ تَغْتَيلُوا فَإِن كُننُم مَنْهَ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَلَهُ أَحَدُ مِنْكُم مِن الْغَآبِطِ أَوْ لَنَمْسَنُمُ النِسَاءَ فَلَمْ يَجَدُوا مَنَا أَ فَتَيمَمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَأَمْسَحُوا بِوجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ الله كَانَ عَفُواً غَفُورًا ﴾ والنساء: ٣٤].

وما إن تهيّأت النفوس، حتى جاء الخطاب القرآني الحاسم بمنع الخمر، وتحريم تعاطيها، بل ومعاقبة من يفعل ذلك في الدنيا قبل الآخرة، فنزل قوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهُا الَّذِينَ مَامَنُواْ إِنَّمَا الْفَيْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصَابُ وَالْأَرْلُمُ رِجْسُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْعَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ وَالْفَرْدُونُ لَعَلَكُمْ مَنْ فَرَالُهُ يَعْلَى الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ مَنْ فَلِحُونَ ﴿ الْمَالِدَة فِي الْفَيْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدِّكُمْ عَن فَرَكِ الْمَالِدَة فِي الْفَيْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدِّكُمْ عَن فَرَكِ الْمَالِدَة فَهَلَ أَنهُم مُنتُهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠- الله ومَن الصَّلُوةِ فَهَلَ أَنهُم مُنتُهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠-

عندها ما كان من المسلمين إلا أن تخلّصوا من الخمر التي في بيوتهم؛ فأضحت شوارع المدينة وديانًا من الخمر (٤).

وهذا التدرج، وكل أمثلته مما لم نذكره

⁽٢) انظر: تفسير الشعراوي ٢/ ٩٣٨.



⁽٣) انظر: المصدر السابق ٤/ ٢٢٥٧.

⁽٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٧/ ٢٣.

⁽١) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة ٨/ ٤٢١٢.

دالًا على سماحة الإسلام في تشريعاته.

٤. رفع الحرج في التشريعات.

ذكر الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى خمسين حكمًا فقهيًا مستنبطًا من هذه الآية، جلّها يبين عظمة السماحة القرآنية (١).

وقد سبقت الإشارة أنّ السماحة تكون في كل تشريع من التشريعات؛ حتى في القتال، فهو وإنّ بدا في ظاهره أنه قتال؛ إلا أنه لأجل الرحمة بالعموم، وهي مدلولً عظيمٌ لسماحة الإسلام.

ثالثًا: السماحة في الدعوة إلى الله:

١. الرحمة واللين في الدعوة.

إن سماحة الإسلام تقتضي أن يكون توجيه طاقات المسلمين إلى الدعوة إلى الله تعالى؛ حتى لا يبقى شقيٌ ولا محروم من الدعوة في هذه الأرض، وبالتالي فإن الرحمة واللين في الدعوة يجب أن يكونا سمة الداعية، وقد حفل الكثير من الآيات القرآنية ببيان السماحة في الدعوة إلى الله تعالى، من خلال بيان الرحمة واللين في الدعوة إلى الله تعالى، وهذه أمثلة من ذلك: أولا: رحمة القلب الداعي إلى الله تعالى بالخلق جميعًا.

وقد شهد القرآن الكريم مواقف عظيمة للقلب الرحيم، المتمثل في النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومنها:

قوله تعالى: ﴿ لَقَدُ جَآءَكُمْ رَسُوكُ مِ عَزِيزُ عَلَيْهِ مَا عَنِيزُ عَلَيْهِ مَا عَنِيثُمْ حَرِيعُ عَلَيْهِ مَا عَنِيثُمْ حَرِيعُ عَلَيْكُمُ بِٱلْمُؤْمِنِينِ رَءُوثُ رَحِيعُ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

حيث تبدأ الآية بلام موطئة للقسم، وبرقد) التي تفيد التحقيق، وكل هذا لخطاب المؤمنين، بأنه جاءكم رسول من العرب، تعرفون نسبه وحسبه، فليس في قبيلة من قبائل العرب إلا وللرسول فيها نسب، والله تعالى شديد عليه إذا شقّ عليكم، ولكن حاشاه أن يكون كذلك، فهو حريص على هدايتكم من الضلال، وهو

⁽۱) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٢٢٢.

بالمؤمنين كلهم رءوف رحيم (١)، ونلاحظ أن هذه الآية الكريمة بينت بشكل واضح جوانب عديدة من السماحة التي ملأت قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومنها أنه لا يملك إلا أن يكون شفوقًا عليكم، ومنها أن الله تعالى منحه اسمين، مليئين بالسماحة الدالة على كل خير.

بينت آيات عديدة أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم يحترق قلبه خوفًا على الناس جميعًا من غضب الله تعالى، ومنها قوله تعالى: ﴿ فَلَمَلَّكَ بَنْخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٓ ءَاتَنْرِهِمْ إِن لَمْ يُوْمِئُوا بِهَلْذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٢].

مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٣]. وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوَّةً عَمَلِهِـ

(۱) انظر: جامع البيان، الطبري ۱۵/ ٥٨٤، تفسير السمرقندي ۲/ ۱۰۰، تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم ٢/ ١٩١٧.

فَرَءَاهُ حَسَنَا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى مَن يَشَاءُ فَالا نَذْهَب نَفَسُك عَلَيْهِم حَسَرَتِ إِنَّ اللَّه عَلِيم مِسَرَتِ إِنَّ اللَّه عليه وسلم، فهو عظيم سماحته صلى الله عليه وسلم، فهو لا يبحث عن نفسه، إنما يبحث عن إنقاذ كل كافر من إنس وجان، والأخذ بأيديهم إلى رحمة الله تعالى.

أمر الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يحبس نفسه، ويقضي جل أوقاته الدعوية مع الداعين إلى الله تعالى بغض النظر عن أوضاعهم الاجتماعية، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرُ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مَنْهُم بِالْفَدُوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجَهَدُّ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكُ عَنْهُم رُبِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ اللهُ يَعْدُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكُ عَنْهُم رُبِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُريدُونَ وَجَهَدُّ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكُ عَنْهُم رُبِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيوٰةِ وَالْعَبْدُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكُ عَنْهُم رُبِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيوٰةِ وَالْعَبْدُ وَلَا اللهُ وَلَا نُعْلِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ وَعَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هُونَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ وُمُلًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية والتي قبلها، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: جاء المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهم عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وأهاليهم، فقالوا: يا رسول الله، إنك لو جلست في صدر المجلس، ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم -يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف لم

⁽٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٥٣/١٠ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير / ١٣٧/٥.

يكن عليهم غيرها- جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، والتي قبلها، والتي بعدها(۱)، وعلى هذا فإن الآية تأمر رسولنا محمدًا صلى الله عليه وسلم، بأن يحبس نفسه مع هؤلاء الفقراء الداعين إلى الله تعالى حبس ملازمة لهم، فهم الذين لا ينفكون عن الدعاء إلى الله تعالى ليلا ونهارًا، يبتغون وجه الله تعالى، ولا تعد عيناك عنهم، أي: لا تعرض عنهم، ولو بأن تنتبه إلى غيرهم تريد زينة زائفة من هؤلاء المستكبرين الكفار(۱)،

يقول ابن عاشور: «وهذا الكلام تعريض بحماقة سادة المشركين الذين جعلوا همهم وعنايتهم بالأمور الظاهرة، وأهملوا الاعتبار بالحقائق والمكارم النفسية؛ فاستكبروا عن مجالسة أهل الفضل والعقول الراجحة والقلوب النيرة، وجعلوا همهم الصور الظاهرة»(٣).

ثم يذكر القرآن الكريم في آية قرآنية أخرى ما يحصن هؤلاء المستضعفين، وبقائهم في الرعاية الشرعية، وذلك بأسلوب النهي عن طردهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا نَظُرُدِ النَّهِي يَرْيدُونَ النَّهُ مَا عَلَيْكُ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْء وَمَا مِنْ وَسَابِهِم مِّن شَيْء وَمَا مِنْ

حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِن شَيْءِ فَتَطَّرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الشَّالِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

حيث تنهى هذه الآية الكريمة نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم، أن يطرد الفقراء المسلمين الداعين إلى الله تعالى صباح مساء مبتغين وجه الله تعالى عن مجالسته، فكلًّ له حسابه عند الله تعالى، ولست من يحاسبهم، أو يحاسب عنهم، فإن طردتهم؛ فإنك ساعتها تكون من الظائمين (٤).

ولا شكّ أن هذه الألفاظ قاسية على النبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم لمجرد أن نفسه حدّثته بمجاملة سادة قريش طمعًا في الإسلام، فإن السماحة يجب أن تقتضي الرحمة بأولئك الضعفاء المساكين، الذين لا يدّخرون جهدًا في نصرة هذا الدين، وبالتالي فإن ضابط الرحمة في الدعوة كونه ليس مرتبطًا بردة فعل، وإنما تكون السماحة والرحمة سجية عند الداعية المسلم، سيما وأنها علامة على رحمة الإسلام، وبالتالي فإن الدعاة ليسوا محاسبين على النتيجة، شرط ألّا يدّخروا أي جهد قلبيًا كان أو قوليًا أو عمليًا في ميدان الدعوة.

وعلى هذا فإن الالتزام بما يأمر الله تعالى من رحمة، ولين في القول أولى بكثير من الاجتهاد فيما لا يجوز الاجتهاد فيه، وصدق

⁽۱) انظر: أسباب النزول، الواحدي ص٢٩٧، لباب النقول، السيوطي ص١٣٠.

⁽٢) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي ٣/ ٢٦٣.

⁽٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٥/ ٣٠٥.

⁽٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٢٥٧.

الله تعالى حيث يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَالله تعالى حيث يقول: ﴿ يَا أَيُّهُا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعً نُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَي اللَّهِ وَرَسُولِدِّ وَالْقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعً عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١].

حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يكون كل الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم مؤمنين، وهذا يوضحه قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَكُنَّ النَّاسِ وَلَوْ حَرَضْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [بوسف: ١٠٣].

حيث تذكر هذه الآية في معرض الرحمة بالرسول صلى الله عليه وسلم الرحيم، الذي يحرص على هداية كل مخلوق من إنس وجان، فإنه صلى الله عليه وسلم لو حرص وتهالكت نفسه لهداية الخلق؛ فإنه لا يكون مؤمنًا إلا القليل (١).

وهذا الجانب دالً على معنى عظيم من السماحة والرحمة في الدعوة إلى الله تعالى، فإن السواد الأعظم من الناس كفار، بل إن من المؤمنين خلقًا لا يفعلون ما يرضي الله تعالى، ومع ذلك فإن الله سبحانه وتعالى لا يؤاخذهم بما كسبوا، بل يؤخرهم إلى أجل معلوم، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ الله

(١) انظر: الموسوعة القرآنية، إبراهيم الأبياري١٤٧/١٠.

حيث إن هذه الآية تبين للناس - عمومًا - شيئًا من عظيم رحمة الله تعالى وفضله، فهي دعوة إلى أولئك الذين اغتروا بتأخير حساب الله تعالى، حتى حسبوه عجزًا، أو رضًا من الله تعالى بما هم فيه، وفحوى مقتضى الدعوة أن يرجعوا إلى الله تعالى، فإن الله تعالى يمنحكم أيها الطغاة كل فرصة في تعالى يمنحكم أيها الطغاة كل فرصة في هذه الدنيا(٢) حتى العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر - لعل الطغاة يرجعون، كما قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْمَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ مِّنَ ٱلْمَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ مِّنَ ٱلْمَذَابِ السَّحِدة: ٢١].

من رحمة الله تعالى أنه أنزل أمانين لهذه الأمة، وهما ما جاء في القرآن الكريم، حينما قال الكفار: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَنَاهُو ٱلْحَقِّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّكَمَاءِ أَوِ اتَّتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال: ٣٧].

عندها نزل قوله تعالى: ﴿ وَمَاكَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَأَتَ فِيهِمْ وَمَاكَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَأَتَ فِيهِمْ وَمَاكَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وقد أخرج الشيخان «عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: اللّهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السّماء أو ائتنا بعذاب أليم. فنزلت: ﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ

⁽٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٢/ ٣٣٩.

فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ اللّهُ وَمُمْ يَسْتَغْفِرُونَ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءُهُ وَمُا عَانُواْ أَوْلِيَاءُهُ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءُهُ وَلَا كَانُواْ أَوْلِيَاءُهُ وَلَا كَانُواْ أَوْلِيَاءُهُ وَلَا كَانُواْ أَوْلِيَا وَهُوَ وَلَا كَانُواْ أَوْلِيَا وَهُوَ اللّهُ ال

وعلى هذا فإن الله تعالى أنزل أمانين لهذه الأمة، فالأمان الأول: هو وجود الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم حيًّا، والأمان الآخر: هو الاستغفار.

من صفات الداعية الحق سيما الرسول صلى الله عليه وسلم أنه سمحٌ في رحمته ولين في قوله، سيما مع من أساء الأسلوب.

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ فَيِمَا رَحْمَةِ مِنَ اللّهِ لِنِنَ لَهُمْ وَلَوْكُنتَ فَظَّا غَلِيظً ٱلْقَلْبِ لَانفَضُّواُ مِنْ حَوْلِكٌ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ مِنْ حَوْلِكٌ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱللّهَ يُحِبُّ فِي ٱللّهَ أِنَّ ٱللّهَ يُحِبُّ اللّهَ عَنْهَتَ فَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللّهَ إِنَّ ٱللّهَ يُحِبُّ اللّهَ مَعْمَان ١٥٩].

أي: فبرحمة من الله تعالى وفضله، كان اللين في القول منك لهم، رغم عدم الطاعة منهم، فلو كان الرسول صلى الله

عليه وسلم فظًا في القول غليظًا في القلب؛ لتركوه وحده، وما جاء إليه الناس، وبالتالي فإن الله تعالى يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعفو عنهم، وأن يستغفر لهم الله تعالى، ثم أن يشاورهم في الأمور التي تحتاج إلى مشاورة؛ فإن ذلك أطيب لأنفس القوم، وإذا وصلت إلى قرار بعد المشاورة؛ فامض به، وتوكّل على الله تعالى، فإن الله تعالى يحب المتوكلين عليه حق التوكل (٢).

ثانيًا: القول اللين من الدعاة حتى مع رءوس الكفر.

فقد حفل القرآن الكريم بذكر هذا الجانب، عبر الحديث عن الأنبياء وخطابهم لقومهم، وتوضيح ذلك فيما يأتي:

ورد أمر رباني لسيدنا موسى وهارون عليهما السلام بالقول اللين مع فرعون لعله يتذكر أو يخشى، كما في قوله تعالى: ﴿ أَذَهَبُ أَنتَ وَأَخُوكَ بِتَايَتِي وَلَا نَنيا فِي ذَكْرِي ﴿ اَذْهَبُ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنّهُ طَغَى ﴿ فَقُولًا لَهُ فَوْلًا لَيْنًا فِي ذَكْرِي ﴾ الله الله فَعُولًا لَهُ فَوْلًا لَيْنًا فِي فَكُولًا لَيْنًا فَي فَكُولًا لَهُ فَوْلًا لَيْنًا لَكُ الله فَي الله الله فَي الله الله فَي الله في الله في

حيث إنه بعد أن بينت الآية السابقة أن الله تعالى اصطنع سيدنا موسى عليه السلام لرسالته، تبين هذه الآيات المذكورة، أن الله تعالى أمر سيدنا موسى وأخاه هارون عليهما السلام بألا يفترا أو يضعفا في حمل

⁽۱) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك)، ٢/ ٢٢، رقم ١٤٨٤، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب قوله: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم)، ٤/ ٢١٥٤، رقم ٢٧٩٦.

وانظر: المحرر في أسباب نزول القرآن، خالد المزيني ١/ ٥٦٣ .

⁽٢) انظر: تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين ١/ ٣٣٠.

الرسالة، أن يذهبا إلى فرعون، فقد تجاوز كلّ الحدود، فقولا له قولًا لطيفًا رقيقًا؛ لعله يرجع إلى الصواب والحق، أو يخشى من عقاب الله تعالى (١).

ورد في آيات كثيرة قول بعض الأنبياء لأقوامهم يا قوم إني أخاف عليكم، كما في قوله تعالى في حديثه عن قصة سيدنا نوح عليه السلام: ﴿ لَقَدَّ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ عَلَيه السلام: ﴿ لَقَدَّ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ عَلَيه السلام: ﴿ لَقَدَّ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ عَلَيه السلام: ﴿ لَقَدَ أَرُسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ عَلَيه السلام عَدُابَ يَوْمِ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: أَخَافُ عَلَيْكُمُ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

ثم الرد من قبل سيدنا نوح عليه السلام على اتهاماتهم اللاذعة بمزيد من الحكمة، ولين الجانب، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَكُأُ مِن قَوِّمِهِ إِنَّا لَنَرَبَكَ فِي ضَلَالٍ مُّينِ ﴿ وَالْمَكُلُ مِن قَوِّمِهِ إِنَّا لَنَرَبَكَ فِي ضَلَالٍ مُّينِ ﴿ وَالْمَكُ مِن قَوِّمِهِ إِنَّا لَنَرَبَكَ فِي ضَلَالٍ مُّينِ وَسُولً قَالَ يَنقُومِ لَيْسَ فِي ضَلَالَةٌ وَلَنكِنِي رَسُولً مِن رَبِّ الْمَنكِينِ وَلَي أَبْلَغُكُمْ رِسَلاتِ رَبِّي مِن رَبِّ الْمَنكِينِ وَأَعْلَمُ مِن اللّهِ مَا لا نَعْلَمُونَ وَالْمَكُم وَلَا مَنْ مُن وَي اللّهِ مَا لا نَعْلَمُونَ وَالْمَكُونَ مَن وَي اللّهِ مَا لا نَعْلَمُونَ وَلَي اللّهِ مَا لا نَعْلَمُونَ وَلَي اللّهِ مَا لا نَعْلَمُونَ وَلَي اللّهُ اللّهِ مَا لا نَعْلَمُونَ وَلَي اللّهُ مِن وَي اللّهُ اللّهُ اللّهِ وَالْمَوْنَ وَلَي اللّهُ اللّهُ وَلَي اللّهُ اللّهِ وَالْمَالُونُ وَلَي اللّهُ اللّهِ وَالْمَالُونُ وَلَي اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَالْمَالُونَ وَاللّهُ وَالْمَالُونُ وَلَي اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّه

حيث إن سيدنا نوحًا عليه السلام يرد على تلك الاتهامات الموجهة بأنه ليس

به ضلالة (والضلالة أخص من الضلال)، ويبين بأساليب التوكيد أنه رسول من رب العالمين، يبلغ شريعة الله تعالى السمحة، وهو لقومه ناصح لا يدخر جهدًا، ولا وسيلة في هدايتهم، ويركز على ما يدور في خلجات صدورهم بقوله: هل تعجبتم أن تأتي رسالة الله تعالى على يد رجل منكم؛ ليحذركم ويخوفكم من عقاب الله تعالى، حتى تكون المحصلة رحمة كبيرة من الله تعالى "عالى".

وإن قصة سيدنا نوح عليه السلام وحالة السماحة والرحمة الدعوية في الخطاب، ومن ثم لين الجانب، هي نموذج قرآني من مخزون نماذجه -سيما في الحديث عن الأنبياء-، سيما سيدنا صالح عليه السلام، وكل أنبياء الله عليهم جميعًا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

كما أن منبر السماحة الدعوية في الرحمة ولين الجانب مما ذكر في القرآن الكريم لم يقتصر فقط على الأنبياء، وإنما تعدّى إلى ذكر الدعاة الغيورين، ومثل ذلك قصة الرجل الصالح، الذي خلّد القرآن الكريم ذكر مسيرته الدعوية الغيورة على الدين في سورة يس، حيث جاء من أقصى المدينة يسعى في الخير شفقة منه على هؤلاء

⁽٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي / ٢٩٢، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي / ٢٣٢/

⁽۱) انظر: النكت والعيون، الماوردي ٣/ ٤٠٤، تفسير القرآن، السمعاني ٣/ ٣٣١.

المكذبين بالرسل، فاستخدم أجمل الألفاظ وأطيبها، حرصًا منه على أن يعافوا من العقاب الرباني جزاء تكذيبهم.

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَجَاءَ مِنْ اَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلُّ يَسْعَىٰ قَالَ يَنقَوْمِ النّبِعُواٰ الْمُدِينَةِ رَجُلُّ يَسْعَىٰ قَالَ يَنقَوْمِ النّبِعُواٰ الْمُرْسَكِلِينَ ﴿ اللّٰهُ النّبِعُواٰ مَن لَا يَسْتَلّٰكُمُ الْمُرْسَكِلِينَ وَهُم مُهْتَدُونَ ﴿ اللّٰهِ وَمَعُونَ ﴿ وَمَا لِى لَا أَعْبُدُ اللّٰذِى فَطَرَنِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ وَمَا لِى لَا أَعْبُدُ اللّٰذِى فَطَرَنِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ وَاللّٰهِ اللّٰهِ عَلَى الرَّحْمَنُ بِضَرّ لَا تُغْنِ عَقِي اللّٰهِ عَلَى الرَّحْمَنُ بِضَرّ لَا تُغْنِ عَقِي اللّٰهَ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ الللّٰهُ الللّٰهُ الللّٰهُ اللللّٰهُ الللّٰهُ اللّٰهُ الللّٰهُ الللّٰهُ الللّٰهُ اللّٰهُ الللّٰهُ الللّٰهُ الللّ

وهذه الآيات الكريمة تبين لنا نموذجًا عظيمًا لداعية إلى الله تعالى، هو حبيب النجار الذي آمن برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وبينهما ستمائة سنة – ومثله في الإيمان تبع الأكبر، وورقة بن نوفل –.

فلقد سمع هذا الداعية الغيور نبأ تكذيب القوم لرسلهم، فما كان منه إلا أن جهر بدعوته، بعد قطع مسافة من أقصى المدينة إلى حيث يسكن القوم، فقال محاكيًا لطريقة الرسل في تبليغهم: يا أهلي، ويا ربعي، إني أرشدكم إلى ما ينفعكم في دنياكم وآخرتكم، فالأمر سهل ومليء بالسعادة التي لا تنتهي، وهو لا يعدو عن كونكم تلتزمون قلبًا وقولًا

وعملًا باتباع كل ما جاء به المرسلون، فهؤلاء لا يطلبون منكم أيّ مالٍ، أو شهرةٍ، أو جاهٍ، ومع ذلك فهم مهتدون إلى الحق.

ثم يتساءل هذا الداعية الغيور سؤالًا تحريضيًّا على حسن الاتباع، بقوله: ولم لا أعبد الذي خلقني منذ الولادة على فطرة التوحيد، والمرجع والمصير كله إلى الله تعالى، فماذا سأرد على سؤاله تعالى لي؟!

وهو أسلوب بالغ في الحكمة الدعوية؛ إذ إنه يتكلم عن نفسه، ثم يوجّه الإشارة إليه في العاقبة التي يمكن أن تحل عليهم، دونما فقد لسيطرته عليهم، عبر استفزاز كرامتهم، بالسباب والشتم وما إلى ذلك، فهو مجتهد بعد خلوص نيته، في أنجع الطرق التي تردّهم إلى دين الله تعالى.

وتلك هي السماحة والرحمة ولين القول في الدعوة إلى الله تعالى، ثم يستطرد هذا الداعية دعوته إليهم بسؤال آخر افتراضي، وذلك بقوله: أأتخذ من دون الله تعالى آلهة لا تضر ولا تنفع أعبدها، فإني أعلمكم أن الله جل جلاله إذا أراد بي ضرَّا؛ فلا تنفعني شفاعة هذه الآلهة شيئًا، ولا يستطيعون أن ينصروني، ولا حتى إنقاذي، وعندها فإني أكون من الضالين عن طريق الخير، وما ينفعني في الدنيا والآخرة.

ثم يجهر بالتمسك بالدين، وذلك بإعلان إيمانه بالله تعالى، حيث قال تلطفًا بهم

(بربكم)، وقال بعد ذلك فاسمعوا مقالتي الإيمانية هذه واستجيبوا لنداء الحق، وفي هذا تحدِّ ضمنيٌّ بأنه متصلّب في دعوته، فماذا سيفعلون إلا ما كتب الله تعالى له، فما كان من القوم إلا أن قتلوه، فقيل له من قبل الله تعالى إكرامًا له: ادخل الجنة، فإذا بهذا الداعية الشفوق الرحيم الحنون يقول حال كونه خائفًا على قومه من العذاب: (يا ليت قومي يعلمون، بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين)(١).

وهناك موقف آخر لرحمة داعية ولينه في القول، وهي تلك القصة الراثعة لمؤمن آل فرعون، حيث جاء في سورة غافر - وتسمّى أيضًا سورة المؤمن نسبةً له-، حيث إنه غار على رسول الله موسى عليه السلام، عندما رأى ذلك التآمر الكبير من فرعون وقومه على قتل سيدنا موسى عليه السلام.

ففي تلك اللحظات الحرجة كان لا بدّ لهذا الداعية أن يتحرّك، فما عاد كتم الإيمان ينفع، وتوجّب عليه رحمه الله تعالى أن يصدع بالحق، فسلك أسلوبًا دعويًّا رائعًا مليثًا باللين والرحمة بهم، مع عدم المجاملة والخديعة لهم، وذلك كما يلى:

رغم أنه من آل فرعون، إلا أن مواجهته لأهله وقومه كانت في بداية الأمر بإعطائهم

(۱) انظر: جامع البيان، الطبري ۲۰٪٥٠٤ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٥٪١٧، إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٧/١٦٤.

السبب الذي من أجله آمن هذا الداعية، وهو أن سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم كان يقول ربي الله، وأنه صلى الله عليه وسلم قد جاء بكل الدلائل والبينات المادية والمعنوية الدالة على إثبات أحقية ما يقول، ومن عظيم إخلاص هذا الرجل أن الله تعالى علمه فقه المناظرة.

ثم يستطرد بذكر النصائح تلو النصائح، ومنها: استخدام لفظة (يا قوم)، وبيان قوتهم الحالية، وأنهم يوم أن يأذن الله تعالى لا حول لهم ولا قوة، ورغم إجرام فرعون

⁽٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ١٤١.

وتجبّره إلا أنه يستمر في تذكيرهم بمن كان قبلهم من الأقوام الغابرة، وما حلّ بهم؛ لعلهم يرجعون عن الباطل، ثم تذكيرهم بيوم القيامة، واستخدام الألفاظ التي تجعل القلوب القاسية رحيمة (١).

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ يَفَوْمِ لَكُمُّمُ الْمُلُكُ الْيُوْمَ طَلَهِ مِن فِي الْأَرْضِ فَمَن يَصُمُونَا مِنْ بَأْسِ اللّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلّا مِنْ بَأْسِ اللّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلّا مَنْ بَالْرَصَادِ (أَنَّ وَقَالَ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهَدِيكُمْ إِلّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (أَنَّ وَقَالَ اللَّهُ يَرِيدُ اللّهُ يَرِيدُ طُلْمًا لِلْعِبَادِ (أَنَّ وَلَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (أَنَّ وَلَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (أَنَّ وَيَعَوْمِ إِنِ أَخَافُ عَلَيْكُمْ وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (أَنَّ وَيَعَوْمُ اللّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (أَنَّ وَيَعَوْمُ اللّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (أَنَّ وَيَعَوْمُ اللّهُ مِنْ عَاصِمْ وَمَن يُضَلِيلُ اللّهُ فَمَا مُدْمِنْ هَادِ فَي إِنْ اللّهُ مِنْ عَاصِمْ وَمَن يُضَلِيلُ اللّهُ فَمَا لَكُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمْ وَمَن يُضَلِيلُ اللّهُ فَمَا لَكُمْ مِنَ اللّهُ مِنْ عَاصِمْ وَمَن يُضَلِيلُ اللّهُ فَمَا لَكُمْ مِن اللّهُ مِنْ عَاصِمْ وَمَن يُضِيلُ لِلْ اللّهُ فَمَا اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ عَاصِمْ وَمَن يُضِيلُ لِللّهُ فَمَا لَكُمْ مِن اللّهُ مِنْ عَاصِمْ وَمَن يُضَلِيلُ اللّهُ فَمَا لَكُمْ مِن اللّهُ مِنْ عَاصِمْ وَمَن يُضَلِيلُ اللّهُ فَا لَا اللّهُ مِنْ هَادِ ﴿ [خافر: ٢٩ -٣٣].

ثم التذكير بما جاء به سيدنا يوسف عليه السلام من البينات، وبمجرد أن مات عليه السلام إذ أنتم تقولون لن يبعث الله من بعده رسولًا، ثم يبين العاقبة تلو العاقبة في الدنيا والآخرة على من لم يتبع الحق والهدى، ورغم أن فرعون ماضٍ في علوه وتكبره الذي بلغ كل وصف، واستعلاؤه الذي لا يماثله استعلاء؛ إلا أن مؤمن آل فرعون يحثهم على اتباع الحق والإيمان، شفقة منه ورحمة عليهم.

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْجَآءَ كُمَّ

يُوسُفُ مِن مَبَلُ بِالْبَيْنَاتِ فَمَا زِلْمُمْ فِي شَكِي يَمِنَا جَاءَ حُمْ بِهِ حُمَّة إِذَا هَلَك فَلْتُمْ لَن يَبْعَث اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا حَكَالِك يُضِلُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا حَكَالِك يُضِلُ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفُ مُرْبَابُ ﴿ آ الَّذِينَ يَضِلُ اللَّهُ مَنْ هُوَ اللَّهِ فِي عَنْدِ سُلطَنٍ أَتَنهُمْ حَكَبُر مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَنَالِك يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَا اللَّهُ اللَّهُ عَلَى حَكْمِ جَبَّادٍ ﴿ وَهَا لَهُ وَعَنْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى حَكْمِ اللَّهُ ال

ثم يذكّر قومه بأن الدنيا زائلة، وأن الآخرة هي الباقية، وإن من رحمة الله تعالى وفضله، أنه لا يجزي بالسيئة إلا مثلها، ويجزي بالحسنة أضعاف الأضعاف، قال تعالى: ﴿يَفَوَمِ إِنَّمَا هَنذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ الدُّنيَا مَتَنعُ وَإِنَّ ٱلْآخِورَةُ هِي دَارُ ٱلْقَكْرارِ اللهُ مَن مَتنعُ وَإِنَّ ٱلْآخِورَةُ هِي دَارُ ٱلْقَكْرارِ اللهُ مَن مَن عَمِل مَتَنعُ وَإِنَّ ٱلْآخِورَةُ هِي دَارُ ٱلْقَكْرارِ اللهُ مَن مَعِل مَتَنعُ فَلا يُجْزَئ إلّا مِثْلَما وَمَن عَمِل مَتَالِحًا مِن ذَكِر أَوْ أُنْفَ وَهُو مُؤْمِن فَيها بِعَيْرِ مَسَالِحًا مِن ذَكِر أَوْ أُنْفَ وَهُو مُؤْمِن فِيها بِعَيْرِ حِسَابِ ﴾ [غافر: ٣٩-٤].

ثم يتحرك قلبه خوفًا عليهم وشفقة بهم، بتذكيره لهم قبل فوات الأوان، بأنه يدعوهم إلى النجاة من غضب الله، ويكون ردّهم

⁽١) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي ٤/ ٣٦.

بأنهم يدعونه إلى النار، ويكون هذا بدعوتهم له للكفر بالله تعالى، والإشراك به إلها آخر، رغم أن دعوته لهم إنما هي لله الذي من صفاته العزة والمغفرة، ولا شك أن دعوتهم إلى الشرك ليس فيها دعوة مستجابة، ولكن مردّنا جميعًا إلى الله، وإن من أسرف من خلال شركه بالله تعالى فهو صاحب النار(۱)، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَيَكَفُّومِ مَا لَيُ النَّجُونَةِ وَتَدْعُونَنِ إِلَى اللّهُ مَا لَيْ النّهُ وَأُشْرِكَ بِهِم مَا لَيْ النّهُ وَأَنْ النّهُ وَأَنْ النّهُ وَأَنْ اللّهُ وَأُشْرِكَ بِهِم مَا لَيْ لَا جَرَهُ أَنّهُ وَأَنْ الْتَعُونَةِ إِلَيْهِ وَأُشْرِكَ بِهِم مَا لَيْ لَا جَرَهُ أَنّهُ وَأَنْ النّهُ وَأَنْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ الللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

ثم يتوعدهم وعيدًا يحمل في طياته نصحًا من مشفق عليهم، وذلك بقوله: ستذكرون قولي عند حلول العذاب، ثم فوّض أمره إلى الله تعالى بعد القيام بكل واجباته، معتقدًا هذا الداعية المجاهد اعتقادًا جازمًا بأن الله بصير بالعباد، وكانت النتيجة الحتمية أن الله تعالى حماه من مكرهم وكيدهم، وهم الذين ذاقوا الويلات جزاء كفرهم وتكذيبهم (٢).

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ فَسَتَذَكُّرُونَ

(١) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي ٥٩/٥، التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي ٢/ ٢٣١.

(۲) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٤/٥٦٢، مدارك التنزيل، النسفي ٣/ ٢١٤.

وبعد، فقد خلص البحث مما تقدّم أن باب السماحة في الدعوة كله يحمل في طياته رحمة، وإن أعظم الواعظين بالرحمة في دعوتهم هم الأنبياء المرسلون، ثم الصالحون، فلا تحكمهم في دعوتهم ردة فعل، وإنما تبلغ رحمتهم حدًّا لا يوصف، سيما مع من يخالفهم أو يعلن الحرب عليهم، فلا يفقدون لين القول، ولا شفقة القلب مهما بلغ الخصم من حد السفه، والفساد، والطغيان، وصدق الله تعالى حيث يقول في كتابه العزيز: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَكُ إِلّاً يَقُولُ أَنْ سُلَنَكُ إِلّاً يَقُولُ أَنْ الْمُعْنَاكِ إِلّاً الْمُنْهَا الْمُنْهَا الْمُنْهَا الْمُنْهَا الْمُنْهَا الْمُنْهَا الْمُنْهَا الْمُنْهَا الله تعالى حيث يقول في كتابه العزيز: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَكُ إِلّاً الله تعالى الله يقول في كتابه العزيز: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَكُ إِلّاً الله يَعْلَيْهِا الله تعالى الله يقول في كتابه العزيز: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَكُ إِلّاً الله يَعْلِيْهِا الله يَعْلَيْهِا الله يَعْلَيْهِا الله يَعْلِيْها الله يَعْلِيْهَا الله يَعْلِيْهَا الله يَعْلِيْهِا الله يَعْلِيْها الله يَعْلِيْها الله يَعْلِيْها الله يَعْلِيْها الله يَعْلِيْها الله يَعْلِيْها الْهَالِيْهِ الْهَاهِ الْهُ الْهَاهُ الْهَاهُ الْهُاهُ الْهَاهُ الْهَاهُ الْهَاهُ الْهُاهُ الْهُاهِ الْهَاهُ الْهُاهُ الْهُلْهُ الْهُاهُ الْهُالْهُاهُ الْهُاهُ الْهُاهُ الْهُاهُ الْهُاهُ الْهُاهُ الْهُاهُ الْ

٢. الصبر على الأذى.

لا شكّ أن الصبر على الأذى بنوعيه القولي والفعلي سمة الداعية الحق الذي يعيش مع الإسلام وسماحته في الدعوة، وبالتالي سيقف البحث عند بعض النماذج التي تدلل على روعة السماحة في صبر الداعية على أذى المعاندين لدعوة الحق، وهي كما يأتي:

أولًا: الصبر على الأذى القولي.

ويمكن تلخيص ذلك من خلال النقاط التالية:

جاء في سورة المزمل أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالصبر على إيذاء كفار مكة بالقول اللاذع منهم، مع تسليته ببيان عاقبتهم في الآخرة إن لم يرجعوا عن طغيانهم، ومحأولات استفزازهم لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَعُولُونَ وَأَهْجُرُهُمْ هَجُرًا جَيلًا ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَعُولُونَ وَأَهْجُرُهُمْ هَجُرًا جَيلًا ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَمُعَامًا ذَا عَلَى اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَلَمُعَامًا ذَا عَلَى اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَلَمُعَامًا ذَا عَلَى اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَلَمُعَامًا ذَا عَلَى اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَلَمُعَامًا ذَا عَلَى اللَّهُ اللّهُ اللّ

فقد ذكرت هذه الآيات أنه لما اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم ربّه جل جلاله وكيلًا وحسيبًا؛ فإنه يتوجب عليه أن يحبس نفسه عن الضجر مما يقولون، كما أمر من الله تعالى؛ فهذا تمام التفويض بإصلاح أمره على نحو أعظم من إصلاحه أمور نفسه، ثمّ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل أمر الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل أفراك الذين يتلسّنون عليه صلى الله عليه أولئك الذين يتلسّنون عليه صلى الله عليه وسلم؛ فذلك هو الهجر الجميل، ومثله وسلم؛ فذلك هو الهجر الجميل، ومثله آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَن النجم: فَوَلُكُ عَن ذِكْرِنَا وَلَرُ يُرِدُ إِلّا ٱلْحَيْوَةُ ٱلدُنيا ﴾ [النجم: وحم: ٢٩].

وقد اختلف المفسرون في نسخ هذه الآية من عدمها، ويميل البحث إلى رأي من قال: إنها غير منسوخة، وإنها محمولة على مقتضيات مصلحة الدعوة بما يتلاءم مع

روح السماحة.

ثم بين الله تعالى أنه لا حاجة بذلك القول الذي بدر من المكذبين من أهل التنعم، ومهّلهم مدة قليلة إلى يوم بدر، فتحتمل كلمة (ذرني)، معنى: ارض بي يا محمد لعقابهم، وهذا يبين عظيم سماحة الإسلام مع المؤذين له، ثم ذكر ربنا جل جلاله كيفية عذابهم عنده فقال: إن لدينا في الآخرة ما يقابل تنعمهم في الدنيا، فأولها – القيد الثقيل عليهم، وثانيها – الجحيم، وثالثها: الطعام الزقوم الذي يغص الإنسان، وهو طعام الزقوم والضريع، ورابعها: سائر أنواع العذاب (1).

وكل هذا الوعيد هو في الآخرة؛ لما يترتب على ذكره في الآية من بيان روعة السماحة، عبر الصبر على الأذى، ففي الآيات الكريمة توضيح لا تأويل فيه، بأن الله تعالى أمهلهم في الدنيا إلى غزوة بدر، وإلى الآخرة؛ لإعطائهم الفرصة الكافية التيا

حاول أولئك المشركون التشكيك في الدين الإسلامي، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه لجأ إلى الله تعالى أن يبين الحق، وأن تمضي الدعوة على خير وجه، ولم يكن في بال الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعو على قومه، أو

⁽۱) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٠/ ٦٨٨، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٩/ ٤٥.

يدعو الله تعالى أن يهلكهم، وهذا كان عبر آيات عديدة.

منها قوله تعالى: ﴿ فَدْ زَىٰ تَقَلَّبَ وَجُهِكَ فِي السّمَآءِ فَلَنُولِيَسَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَنها فَوَلِ وَجُهِكَ فِي السّمَآءِ فَلَنُولِيَسَنّكَ قِبْلَةً تَرْضَنها فَوَلِ وَجُهِكَ شَطْرَهُ وَإِنَّ الْخَرَامِ وَجَيْثُ مَا كُنتُم فَوَلُوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَةً وَإِنَّ اللّهَ الْكَنْبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُ مِن زَيِهِم وَمَا الله الْكِنْبَ لَيَعْلَمُونَ أَنّهُ الْحَقُ مِن زَيِهِم وَمَا الله فِي الله الله الله عَمّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

حيث جاء في سبب نزولها عن البراء بن عازب -رضي الله عنهما-، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى نحو بيت المقدس، ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله: ﴿ قَدْ زَيْنُ وَجَهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ ﴾ [البقرة: ١٤٤] فتوجه نحو الكعبة».

وقال السفهاء من الناس، وهم اليهود: ﴿مَا وَلَمْهُمْ عَن قِبْلَنْهِمُ الَّتِي كَافُواْ عَلَيْهَا فَل لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ آَيَةٍ مِن لَيْشَآهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ١٤٢].

فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رجل، ثم خرج بعد ما صلى، فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس، فقال: هو يشهد: أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه توجه نحو الكعبة؛ فتحرف القوم، حتى توجهوا

نحو الكعبة»(١).

وإن سبب نزولها كافٍ لبيان عظيم السماحة التي حظيت بها شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فإنهم يشككون في تبعيته صلى الله عليه وسلم لربه جل جلاله، وذلك من خلال توجهه صلى الله عليه وسلم جهة بيت المقدس في القبلة، على اعتبار أنها هي قبلتهم، وكأنه صلى الله عليه وسلم يتبع لهم، فما كان من رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم إلا أن دعا الله تعالى متوجهًا نحو السماء، بأن تكون القبلة نحو المسجد الحرام، وإذا باليهود يطعنون في ذلك، عبر سفهائهم من الناس، وهم مشركو العرب، من خلال قولهم ما الذي جعلهم يحوّلون قبلتهم التي كانوا عليها؟! فتجيب الآية القرآنية في أروع معانى السماحة، دونما سبِّ، أو قذف، بأنه لله تعالى ما في المشرق وما في المغرب، وأنه عز وجل يهدى إلى الاستقامة الحقة من يشاء من عباده، سواءً أكانت هداية إرشاد أم هداية توفيق، وبعد تشكيكهم بأنه لا أجر للصلاة التي أقامها المسلمون حال كونهم متجهين نحو بيت المقدس في أكثر من سبعة عشر شهرًا، بين الله تعالى أنه لا يضيع الصلاة،

⁽۱) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، ١/ ٨٨، رقم ٣٩٩.

حيث سمّاها القرآن (إيمانكم) (١). ثانيًا: الصبر على الأذى الفعلي:

بيّنت آيات عديدة جوانب من صبر الدعاة على الأذى الذي وقع فعلاً أو كاد أن يقع عليهم، وسنقف إن شاء الله على نموذج قرآني منها؛ فقد جاء في سورة النحل، التخيير بين المماثلة في العقوبة لمن عاقب بعضًا من المسلمين، أو تسبب في إيذائهم، وبين حبس النفس عن تلك المماثلة في العقوبة، وذلك من خلال الصبر على ذلك، واحتساب الأجر من الله تعالى وحده، على أن يكون الصبر ناتجًا عن إرادة حقيقية ممن وقع عليه الأذى، أو أراد بذلك مصلحة دعوية مرجوة، فعندها يكون الصبر خيرًا وأعظم أجرًا.

ثم أكّدت الآيات أن الصبر مأمور به خير الدعاة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟ لأن صبره ملتصق بحكم دعوية، لا حصر لها، ثم يبين الله تعالى جانبًا قلبيًّا رحيمًا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الحزن العميق على أحوال أولئك المكذبين، ومآلهم في الدنيا والآخرة.

وقيل: الحزن على قتلى أحد.

ثم بيان الرحمة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم بألّا يضيق ذرعًا في أقواله

والآيات هي: ﴿ وَإِنْ عَافَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوفِبْتُ بِهِ ۚ وَلَهِن صَبْرَتُمْ لَهُوَ خَيْرُ لِلصَّنَهِ فِنَ أَنَّ وَمَاصَبُرُكَ إِلَّا بِاللَّهُ لِلصَّنَهِ فِنَ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا وَلَا تَعْذَرُنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٢٢، ١٢٢].

وعلى هذا تكون الآيات مدنية، وقال الكثيرون: إنها منسوخة بالآية التي بعدها^(٣).

والراجح أنها غير منسوخة، وإنما هي محمولة على التخيير مع أفضلية الصبر، وبقاء مصلحة الدعوة ضمن الضوابط الدينية الدعوية مقياسًا صالحًا في التخيير بين مماثلة العقوبة، أو الصبر على تلك العقوبة.

٣. الإحسان إلى المسيء.

إن الإحسان إلى من يسيء إلى الداعية اسواء أكانت شخصية، أم قادحة في دعوته ضمن الضوابط سمة الأنبياء الصالحين، والأولياء المخلصين.

وتناولت آيات قصة ابني آدم بعض صور الإحسان إلى المسيء في طياتها، حينما

وأفعاله وأحواله من المكر الذي يمارسه الأعداء المكذبون، الذي إن كان مكرهم لتزول منه الجبال(٢).

⁽۲) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ۱۹۰/۱۲.

⁽٣) انظر: تفسير القرآن، العز بن عبد السلام ٢٠٨/٢، زاد المسير، ابن الجوزي ٢/ ٥٩٣، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٠١/١٠، لباب التأويل، الخازن ٣/ ١٠٧.

⁽۱) انظر: أحكام القرآن، الجصاص ۱۰٤/۱، تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين ١/ ١٨٣.

من الآخر.

فبدل أن يبارك الآخر للذي تقبّل الله تعالى منه، ومن ثم يراجع حساباته مع ربه، إذ به يفكّر في القتل والاستئصال للآخر، الذي هو أخوه، فأقسم له أنه سيقتله بأساليب توكيد متنوعة، فإذ بهذا الطيب، يقول: إنما يتقبّل الله تعالى من المتقين الذين خافوه، وعملوا له حسابًا.

ثم يقول هذا الطيب الذي تقبل الله تعالى قربانه لذلك المجرم مقسمًا له: إن بسط إليه يده -كناية عن القتل مع سبق الإصرار والترصد-؛ فلن يماثل هذا الإجرام، والسبب عظيمٌ جدًّا، وهو الخوف من الله تعالى رب العالمين، فإنه يريد أن ينال هذا المجرم إثمه مع إثم ذات المجرم؛ فعندها يكون من أصحاب النار.

ثم يبين ذلك الطيب أن ذلك العقاب جزاء كل ظالم، فما كان من ذلك المجرم إلا أن قتله، رغم هذه الدعوة التي تظهر أروع معاني الإحسان إلى من يفكر في أسوأ معانى الإساءة، وهي القتل العمد، وهناك كان الخسران المبين (١).

والآيات هي: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ٱبْنَىٰ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّي إِذْ قَرَّبًا قُرْبَانًا فَنُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ

تقبّل الله تعالى قربان أحدهما، ولم يتقبّل مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقَنْلُنَّكُّ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلمُنَّقِينَ اللَّ لَينَ بَسَطِتَ إِلَّ يَدَكُ لِنَقْلُنِي مَا أَنَّا بِبَاسِطٍ بَدِي إِلَيْكَ لِأَقْنُلُكَّ إِنَّ أَخَافُ اللَّهُ رَبَّ ٱلْعَلَمِينَ (إِنَّ أُدِيدُ أَن تَبُواً بِإِثْمِي وَإِفْكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَلِ النَّادِّ وَذَلِكَ جَزَّ وُأَ ٱلظَّلِمِينَ اللهُ فَطُوِّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ وَقَنْلَ أَخِيهِ فَقَنْلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ لَكُنسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧-٣٠].

ولقد مرّ - في معرض الآيات السابقة-الحديث بالتلميح أو التصريح عن ذلك الإحسان إلى المسيء، الذي يعدّ جزءًا لا يتجزّأ من سماحة الإسلام الشاملة لجميع مناحي الدين، ولا عجب؛ فهي تطبيق عمليٌّ لرسالة الإسلام، بما يعزز حب الدين في قلوب الناس جميعًا.

⁽١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ١٧٨/٢، لباب التأويل، الخازن ٢/ ٣٦.

السماحة مع المخالفين للدين

أولًا: المفاصلة العقدية:

إن الإسلام يحمل في ثنايا روحه سماحة حتى مع المخالفين للدين، ومن ذلك أن المفاصلة العقدية، وعدم المداهنة أو المجاملة لهم، تحمل في طياتها سماحة.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَكَأَيُّهَا الْكَ فِرُونَ ﴿ لَا اَعْبُدُ مَا نَعْبُدُونَ ﴿ وَلَا اَنْتُمْ عَدَيدُونَ مَا اَعْبُدُ ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدَّمُ مِنْ وَلَا اَنْتُمْ عَلَيدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿ فَ لَكُوْ دِيثَكُو وَلِيَ دِينِ ﴾ عَلَيدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿ فَ لَكُو دِيثَكُو وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ١-٦].

جاء في سبب نزول السورة عدة أقوال، وكلها سليمة الدراية؛ لأن المعنى حمّالٌ لها، وهي تناسب السياق.

وسنذكر إن شاء الله سببًا، وهو: «أنّ قريشًا قالوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم: إن سرّك أن نتبع دينك عامًا، وترجع إلى ديننا عامًا؛ فنزلت هذه السورة»(١).

واختلف المفسرون في هذه الآيات، سيما الآية السادسة في نسخها من عدمه، والذي يترجّح أن هذه الآيات غير منسوخة، وإنما هي محمولة على المفاصلة العقدية.

ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي اللَّهِ مِنْ الْغَيْ فَكُن يَكُفُرُ اللَّهِ فَكَن يَكُفُرُ اللَّهِ فَكَ السَّمْسَكَ اللَّهُ فَكَ السَّمْسَكَ اللَّهُ فَكَ السَّمْسَكَ اللَّهِ فَكَ السَّمْسَكَ اللَّهِ فَكَ السَّمْسَكَ اللَّهِ فَكَ السَّمْسَكَ السَّمْسَكَ اللَّهِ فَكَ السَّمْسَكَ اللَّهِ فَكَ اللَّهِ فَكَ اللَّهُ اللَّهِ فَكَ السَّمْسَكَ اللَّهُ فَكَ اللَّهِ فَكَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ فَكَ اللَّهُ اللَّالَا اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالِمُو

وَالْمُوْوَقِ الْوُثْقَيْ لَا الْفِصَامَ لَمَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [القدة: ٢٥٦].

وبالتالي فإن المعنى يكون: بأن السورة تبدأ بنداء من الله تعالى إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأجل أن يخاطب الكافرين، وإن كان في هذا الخطاب استهزاء ضمني؛ بما آلوا إليه من كفر، وبالتالي عاقبة وخيمة من جهة، إلا أن هذا الخطاب يحمل السماحة في إعطاء فرصة الخطاب الدعوي الرباني من جهة أخرى.

ثم إن فحوى رسالة الخطاب هو المفاصلة العقدية، وذلك من خلال أن سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم لا يسلك عبادتهم ولا يقتدي بها، ثم يوجه الخطاب مباشرة لهم من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم، بما أمر به من قبل الله تعالى، وذلك أن هؤلاء الكفار لا يعبدون ما يعبد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهم لا يقاتلون في الدنيا، طالما التزموا بالضوابط المتفق عليها، مع عدم رفع العقاب عنهم يوم القيامة.

ثم يرجع التذكير لهم؛ لقصد التفاتهم إلى الحق، بأنّ سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم لا يعبد ما يعبدون، مهما كانت المدة، فذلكم ولاء وبراء، ليس بيده أن يتنازل، وليس من حقه أن يتعاطى في تلك القضية المفصلية، ثم تعيد الآية لأجل الترسيخ

⁽١) زاد المسير، ابن الجوزي ٤/ ٩٩ .

في القلوب والأذهان، بأنهم لا يريدون أن يعبدوا ما يعبد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم تحمل الآية الأخيرة من السورة تهديدًا ضمنيًّا لهم، مع سماحة عظيمة عبر الإمهال؛ لأجل أن يتوبوا، فيقول الحق تبارك وتعالى: لكم شرككم الكفري، ولي توحيدي الإسلامي، وبالتالي فإن الكل سيقف بين يدي الله تعالى، فليحرص على حجته، وكيف سيرد على خالقه جل جلاله (۱).

ثانيًا: البر والقسط:

عالج القرآن الكريم جوانب عظيمة، تدلل على عظيم الأخلاق التي دعا إليها الدين، ومن بين هذه الأخلاق التي عالجها البر والقسط.

فقد قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآة لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَلِلَةِيْنِ وَالْأَقْرِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَشَيعُوا الْهُوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلُوءُا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٥].

وقد خصّ القرآن الكريم الأمر بالقسط مع المخالفين للدين، وذلك كما ورد في سورة الممتحنة الأمر الربانيّ بالبر والقسط

لأهل الكفر، فقد قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَنَكُرُ مِن اللَّهِ وَلَمْ يُغْرِجُوكُمْ مِن اللَّهِ وَلَمْ يُغْرِجُوكُمْ مِن اللَّهِ وَلَمْ يُغْرِجُوكُمْ مِن اللَّهِ وَلَمْ يُغْرِجُوكُمْ مِن دِينَزِكُمْ أَنَّهُ عَنِ اللَّهِ وَلَا يَكُومُ مِن اللَّهِ عَنِ اللَّهِ وَلَا يَكُمُ اللَّهُ عَنِ اللَّهِ وَلَا يَكُومُ فِي اللَّهِ وَلَا يَهُوكُمْ فِي اللَّهِ وَلَا يَكُومُ وَلَا يَهُوكُمْ فِي اللّهِ وَلَا يَكُومُ وَلَا يَهُوكُمُ وَلَا يَكُومُ وَلَا يَهُولُونُهُ فَي اللَّهِ وَلَا يَكُومُ وَلَا يَكُومُ وَلَا يَكُومُ وَلَا يَكُومُ وَلَا يَهُولُونُهُمْ وَلَا يَعْرَا عَلَى اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

فقد ذكرت الآيتان أن الله تعالى لا يحضنا على قتل المسالمين من الكفار من أهل مكة وغيرها، الذين لم يخرجونا من ديارنا، ونحن مطالبون تجاههم أن نبرهم ونقسط إليهم، فعلينا أن نفرق بين المعتدي والمخرج من الديار، وبين المسالم، فذلك هو القسط الذي أمرنا الله تعالى به، فالمعتدي والظالم وجبت على المسلمين مماثلتهم بعداوتهم، والبار والمقسط وجبت مماثلتهم بالبر والقسط (٢).

ونلاحظ في هاتين الآيتين أن الآية الأولى ذكرت المسالمين مقترنًا معها البر والقسط، وذكر في الآية الثانية المعتدين مقترنًا معها النهي عن توليهم، رغم أن التولي لهم منهيًّ عنه مع المسالمين أيضًا؛ لأن البطش والظلم الذي قد يقع من المعتدي؛ يجعل إمكانية التولي لهم عند مرضى القلوب واردة.

وإن كلتا الآيتين تبينان عظيم سماحة

⁽۱) انظر: الصحيح المسبور، حكمت بن بشير بن ياسين ٤/ ٦٧٦، أوضح التفاسير، محمد الخطيب ص٧٦٤.



⁽٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٣٢/ ٣٣، لطائف الإشارات، القشيري ٣/ ٥٧٢.

الإسلام العظيم، سيما مع المخالفين لدين الإسلام؛ مما يعزز في قلوبنا جميعًا وجوب الافتخار بهذا الدين.

الفرق بين السماحة والولاء مع المخالفين للدين:

أهل الحق عمومًا قائمون على تبليغ رسالة الإسلام، وتعليمه للناس كافة، وتطبيقه في شتى مجالات الحياة، وليس معنى هذا أن يستكين المؤمن إلى أولئك المرجفين أو الأقاكين، أو أن يداهنهم، فإن السماحة تعني: الصبر على الأذى مع علم أهل الحق أن الله تعالى على نصرهم لقدير، وفي حال قوتهم؛ فإن العفو سلاحهم، مع وعيهم بضرورة هيبة الدعوة إلى الله تعالى، وسيركز البحث هنا على بيان الفرق بين وسيركز البحث هنا على بيان الفرق بين السماحة والولاء مع المختلفين في الدين، وذلك فيما يأتي:

سبقت الإشارة إلى أنه جاء في سورة ال عمران الحديث عن مساومة مكرية عرضها يهود خيبر على يهود المدينة، بأن يظهروا الإيمان بالقرآن أول النهار، ويكفروا آخره، مع طمأنة يهود خيبر ليهود المدينة؛ بأنه لم يؤت أحد من الخلق جميعًا مثل ما أوتي اليهود، وبالتالي فإن يهود خيبر أحاطوا ذلك المكر بشتى مقومات السلامة على حسب ترتيبهم من أن يتأثر أحد من

اليهود المطلوب منهم أن يخادعوا المؤمنين بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم، ودعوته الحقّ، فلم يكن الرد القرآني مداهنة، ولا تنازلًا، وفي المقابل لم يكن الرد قاصمًا لكل جوانب الدعوة لهم، وإنما عالج تلك المساومة من خلال أن هذا القرآن هو هدى من الله تعالى، مبيّنًا زيف ما يقولون، ثم بين الله تعالى عبر خطابه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأن فضل الله -الذي هو الإسلام- إنما هو بيد الله تعالى، يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم(١)، وبالتالي فإن وضوح الرؤية -بين حال المخادعين، وحال المؤمنين- لم يمنع من دعوتهم إلى الله تعالى، رغم ما يمكرون من جهة، ولم يجعل السماحة تنجر إلى مسامحة الباطل ومداهنته من جهة أخرى، فالميزان الإيماني حسّاس، لا يقدّره إلا من أنار الله تعالى قلبه بالإيمان.

جاء في مطلع سورة القلم البيان الواضح للخلق العظيم الذي تمتع به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد استغلّت الكفار ذلك بمحاولات جعله يلين لهم، فعندها يلينون، كونهم حققوا

⁽١) انظر: تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين ١/ ٢٩٥، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي ١/ ٢١٧.

ما يريدون، وذلك في الآيات التالية: ﴿ نَ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ١٠٠ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونِ اللَّ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونِ اللهُ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ اللهُ فَسَنَّبُعِرُ وَيُبْصِرُونَ ۞ بِأَيتِكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۞ إِنَّ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّعَن سَيِيلِهِ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ٧ فَكُ فَلِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ١ وَدُوا لَوْتُدُهِنُ فَيُدُهِنُوكَ آن وَلَا تُطِعَ كُلَّ عَلَافٍ مَّهِينٍ ١٠٠ مُمَّازِ مَّشَّآمِ بِنَمِيمٍ القلم: ١-١]. حيث تبدأ السورة بذكر النون الذي قيل عنه: الحوت الأعظم الذي على ظهره الأرضون السبع، وقيل: إنه من الحروف المقطعة التي استأثر الله تعالى بعلمه. ويقسم تعالى بالقلم الذي تكتب به الملائكة كتب الأعمال وما يؤمرون به، أو بالقلم الذي يكتب به البشر ما نزل من الكتب السماوية، وما وصلوا إليه من علوم، ثم يأتي جواب القسم من الله تعالى بأن سيدنا محمدًا ليس بنعمة ربه، -وهي الهداية إلى الإسلام- بمجنون، وهو ردٌّ ضمنيٌّ على كفار قريش، حينما رموه بالجنون، وتستكمل الآيات التسلية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك كونه له أجر غير منقطع، وأنه على خلق عظيم. ونلاحظ هنا أن أساليب التوكيد كثيرة؛ لزيادة طمأنة قلب النبي محمد صلى

الله عليه وسلم، ثم يبين الله تعالى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنه شتان بينك وبين أولئك الكفار البعداء، فستبصر يا محمد صلى الله عليه وسلم أنت وأمتك بأيكم الذي فتن؟، والجواب في الآية التي بعدها بأن ربك هو الأعلم بالذي ضل عن سبيله، وأن الله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته، وما دام الأمر قد وضح لك يا محمد صلى الله عليه وسلم ولأمتك؛ فلا تطع أولئك المكذبين من كفار قريش وغيرها، فهم قد ودّوا لو يلاينهم أو يداريهم؛ فعندها يميلون أيضًا إلى قوله ودينه، ولكن الدين لا يقبل التفاوض، ولا المداراة، فلا مجال للتغيير، أو التنازل عن الحق، فلا تطع يا محمد صلى الله عليه وسلم - والخطاب منسحب إلى أمته- كثير الحلف، كثير الإهانة من غيره، بأن يسود وجهه؛ فتكون عاقبته الذل والإهانة، فهو كثير الهمز، يعيب في شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم في غيبته، وهو يمشي بين الناس بالنميمة^(١).

وهذه الآيات -كما كثير من النماذج القرآنية المماثلة- توضح لنا الدقة القرآنية في التعبير بما لا ينقص من قدر السماحة،

⁽١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٥/ ٣٤٥.

فهي منهج قرآني، لا انفكاك عنه، ومع ذلك فإن الولاء لله تعالى منضبط جدًّا، لا يستطيع أحدٌ أن يتقدم عليه إلا بما يرضي الله تعالى.

سماحة الإسلام في العلاقات الاجتماعية

سبقت الإشارة إلى أن سماحة الإسلام استوفت شتى المناحي، من بينها الاجتماعية، من خلال الحديث عن طبيعة العلاقة مع الوالدين، أو الآداب المرجوة من الأسرة، أو المجتمع، بما يظهر جانب السماحة في الإسلام، وسيدور الكلام هنا حول سماحة الإسلام في هذين الجانبين.

أولًا: سماحة الإسلام مع الأسرة:

وردت سماحة الإسلام في القرآن الكريم مع الأسرة عمومًا، إلا أنها أعطت مساحة بالدرجة الأولى للوالدين، وذلك في السياقات التالية:

 ١. في سياق الاقتضاء الرباني بوجوب عبادة الله تعالى وحده، وبالوالدين إحسانًا.

فقد ورد ذلك في سورة الإسراء، في قوله تعالى: ﴿وَفَضَىٰ رَبُكَ أَلَّا نَعْبُدُوَا فِي قوله تعالى: ﴿وَفَضَىٰ رَبُكَ أَلَّا نَعْبُدُوَا إِلَّا إِنَاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَدِنَا إِنَّا يَبْلُغَنَ عِندَكَ الْكَابِرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَمُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَمُمَا أَوْ وَلَا نَنْهُرْهُمَا وَقُل لَهُمَا فَوَلا كَرِيمًا ﴿نَا اللَّهُمَا وَقُل لَهُمَا فَوَلا كَرِيمًا ﴿نَا لَهُمَا وَقُل اللَّهُمَا كَا رَبّيانِ صَغِيلًا ﴿ فَ الرَّحْمَةِ وَقُل بَيْ الرَّحْمَةِ وَقُل بَيْ الرَّحْمَةِ وَقُل لَيْ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّه

حيث تبين هذه الآيات الكريمة أروع

جوانب السماحة، فقد قضى ربّنا جل جلاله وأمر وألزم وأوجب ألّا يعبد أحدُّ إلا الله تعالى، وقرن الوالدين –قبل الأمر بالإحسان إليهما- ملتصقًا بذات الله تعالى؛ لأن الله تعالى هو الذي أوجد الإنسان، وهيّأ له السبب في وجوده، وهو الوالدان، وقد خص البر بالكبر أحدهما أو كليهما؛ لأنهما في تلك المرحلة العمرية بأمس الحاجة إلى المساعدة؛ وبالتالي فإن التشديد في هذه الآية في التقدير والتكريم للوالدين دالٌ على عظيم السماحة، مع أولى الخلق بالرعاية إِحْسَنًا ﴿ [الأحقاف: ١٥] (٢). والبر والإحسان.

إذ إنه لا يحق لأحد أن يتلفظ بأصغر ألفاظ التضجر، وهي أفُّ، وما فوقها أولى بالنهى، وبالتالى فإنه ينبغى القول الكريم الطيب، وأن يتذلل وينكسر لهما، ويخفض الجناح، كناية عن الذل والخنوع، وأن يترحم عليهما، كما ربياه حال كونه صغيرًا.

ثم ذكر أن الربّ جل جلاله هو الأعلم بما في النفوس، من اعتقاد الرحمة بهما، والحنان عليهما، أو من غير ذلك من العقوق، فإن يكن هؤلاء الأولاد صادقين في نية البر للوالدين، فإن الله تعالى كان غفورًا للزلات، التي قد تصدر من الأولاد شرط الصلاح والتوبة(١).

ولفظة (قضي) بمعنى أمر، وبمعنى وصّى، كما ورد في القراءات التفسيرية لابن عباس، وابن مسعود، وأبي بن كعب رضي الله عنهم أجمعين، وكما ورد في آيات أخرى، مثل قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَانَ بِوَلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَّا عَلَىٰ وَهْنِ ﴾ [لقمان:

وقوله تعالى: ﴿ وَوَصِّيْنَا ٱلْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ مُسنًا ﴾ [العنكبوت: ٨].

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ

وتظهر روعة السماحة، في أهمية حفظ الفضل لمن كانا سبب وجود الإنسان، وهما الوالدان، اللذان أوضح القرآن الكريم كل جوانب البر لهما في كتابه، كما بينت هذه الآية والآيات الأخرى، التي ذكرنا شطرها في اللطيفة السابقة.

٢. في سياق بنود الميثاق، الذي أخذ على بني إسرائيل.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَنِقَ بَنِيَ إِسْرَةِ مِلَ لَا تَعَدَّبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِأَلْوَالِائِنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَيٰ وَٱلْبَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِهُ مُوا ٱلصَّكَلَوْةَ وَمَاثُواْ ٱلرَّكَوْةَ ثُمُّ تَوَلَّيْتُد إِلَّا قَلِيلًا مِنكُمْ وَأَنْتُم مُعْرِضُون ﴾ [البقرة: ٨٣].

حيث تبين هذه الآية الكريمة أن البند

⁽١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي



⁽٢) انظر: المصدر السابق.

الثاني من الميثاق هو الإحسان إلى الوالدين إحسانًا، وذلك بعد توحيد الله تعالى في ألوهيته، ومن الجميل في هذه الآية أن إعراب (إحسانًا) في هذه الآية أنها منصوبة على المصدرية، فهي مفعول مطلق للفعل المحذوف المقدّر بـ (تحسنوا)، المعطوف على الجملة (لا تعبدون إلا الله)، المضمر (أن) فيها، فيكون التقدير في الآية: (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل بألا تعبدوا إلا الله، وبأن تحسنوا إلى الوالدين إحسانًا).

وفي سياق الآية حذف؛ لحكم يعلمها الله تعالى، وقد جاء في بيان سبب ذكر الله تعالى، بعدها مباشرة، بأن الله تعالى هو الذي هياً الأسباب، وهي الوالدان(١).

٣. في سياق بيان المحرّمات.

جاء الأمر بالإحسان إلى الوالدين، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتَلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمُ مَعَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِدِ شَيْعًا فَكُرَمُ رَبُكُمُ مَعَنَى اللّهَ اللّهُ تُشْرِكُوا بِدِ شَيْعًا وَيَا لَوْلَا لَيْنَ إِحْسَدَنَا وَلَا تَقْدُلُوا أَوْلَادَكُم مِن وَيَا هُمُّ وَلَا تَقْدَرُبُوا الْفَوْحِين مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَلَ قَلْ وَلَا تَقْدَرُبُوا تَقَدْلُوا النّفْس الّقِي حَرَّمَ اللّهُ إِلّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمُ وَصَدَّكُم بِهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ ا

حيث جاء ذكر المحرمات التي حرّمها الله تعالى بصيغة النهي، في كل الجوانب

المحرّمة المذكورة، إلا الوالدين، فإنها جاءت بالأمر بالإحسان إليهما، إذ لا يكفي أن يخبر به كعقوق محرّمة، بل ينبغي أن يبين حقهما بالكامل، عبر الإحسان إليهما، وليس مجرّد الأداء (٢٠).

وأما باقي أفراد الأسرة، فقد ذكر القرآن الكريم الأمر بإعطائهم حقوقهم، ومن ذلك: قوله تعالى في حق وأد البنات: ﴿وَإِذَا الْمَوْمُرُدَةُ سُمِلَتُ ﴿ إِنَّا الْمَوْمُرُدَةُ سُمِلَتُ ﴿ اللَّهُ إِنَّا ذَنْبٍ قُئِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨-٩].

حيث تذكر هاتان الآيتان الكريمتان خطر الوأد للبنات؛ فالموقف خاص بيوم القيامة، وبالتالي فإن التحذير من الوأد يأتي ببيان العاقبة الأخرويّة، ومن ثمّ يغلب على طابع السياق مخاطبة للضمير الإنساني.

وقد ذكر هذا التحذير في أكثر من موضع من القرآن الكريم، في سياقات متعددة، منها، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقَنُلُوّا أَوْلَلاَكُمُ مِنها، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقَنُلُوّا أَوْلَلاَكُمُ مِنْ إِلَّا هُمْ ﴾ [الأنعام: مِنْ إِمَلَتِيُّ مَعَنُ نَرَّزُفُكُمُ وَإِيّاهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

ولا تقتلوا أولادكم، سيما البنات بسبب الفقر؛ فإن الله تعالى تكفّل للآباء بالرزق في الكبر حالة الشيخوخة، وبالتالي للأولاد حالة الشباب؛ إذ إنه تكون البنت -بعد فضل الله تعالى سببًا لرزق الآباء (٣)، كما جاء في

⁽۲) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي ۹۱/۲، مفاتيح الغيب، الرازي ۱۷۷/۱۳.

⁽٣) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي

⁽۱) انظر: جامع البيان، الطبري ٢/ ٢٩٠، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٣٠/.

سورة الإسراء بيان الكفالة الثانية للأولاد حالة الطفولة، إذ يكون الآباء شبابًا، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا نَقْنُكُواْ أَوْلَادًاكُمْ خَشْيَةَ إِمَالَةٍ فَعَنُ نَرَزُقُهُمْ وَإِيّاكُمْ ۚ إِنَّ قَنْلَهُمْ صَانَ خِطْعُا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣١].

فالنهي عن قتل الأولاد خشية الفاقة والفقر؛ فإن قتلهم كان إثمًا عظيمًا (١).

وجاء في حق الأقارب عمومًا، برفع المحرج عن إبداء زينة المرأة عند بعضهم: ﴿ وَقُل اللّٰمُوْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَدُوهِنَ وَيَعْفَظُنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ نِينَتَهُنَّ إِلّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَيَعْرِينَ بِعُمُرُهِنَّ عَلَى جُمُوبِينًّ الله عَمُولِيةِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَيَعْرِينَ بِعُمُرُهِنَّ عَلَى جُمُوبِينًّ وَلَا يَبْدِينَ إِلّا لِبُعُولَتِهِنَ وَلَا يَبْدِينَ أَوْلَمَ اللّهِ الْمُعُولَتِهِنَ اللّهِ الْمُعُولَتِهِنَ أَوْلِمَا إِلِهِ اللّهِ اللّهُ وَلَيَهِنَ أَوْلَى اللّهِ اللّهُ وَلَيْهِنَ أَوْلَى اللّهِ اللّهُ وَلَيْهِنَ أَوْلَى اللّهِ اللّهُ وَلِيهِنَ أَوْلَى اللّهِ مِنْ الرّبِهِ اللّهُ اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ مَلَى اللّهِ مَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ

فإن هذه الآية تبين جوانب من السماحة في العلاقة بين الأرحام؛ لأجل ألّا تشيع الرذيلة، وبالتالي إذا أمنت -عبر المحارم، وضمن الضوابط التي ذكرتها الآية وشرحتها

السنة-؛ فعندها ما جعل الله علينا في الدين من حرج، فإن هذه الآية الكريمة عالجت الأمراض القلبية، والفعلية، وكافة أشكال المتاعب التي تنجم عن تلك المحظورات، بما يعزز السماحة في شتى مناحيها(٢).

ويمكن الوصول في خاتمة هذه الجزئية إلى نتيجة، وهي: أن القرآن الكريم عالج جانب السماحة مع الأسرة في شتى الجوانب، وترك للسنة النبوية شرح ما أجمل ذكره، ولأن دراستنا هذه تفسيرية قرآنية؛ فإننا اكتفينا بذكر ما أوضح القرآن ذكره، ومقاصده العامة، مع اليقين التام بأنه لم يخل جو السماحة في الأسرة، حتى في القسوة الظاهرة، فهي لأجل الرحمة.

ثانيًا: سماحة الإسلام مع المجتمع:

بين الله تعالى في كتابه أن المؤمنين الذين يحبّهم ويحبونه، من أخص خصوصياتهم أنهم أذلة على المؤمنين؛ لكنهم في نفس الوقت أعزة على الكافرين.

وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَذَ مِنكُمْ عَن دِينِهِ مَسَوَّفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمِ يُحِبُّهُمْ مَن دِينِهِ مَسَوَّفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمِ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَةٍ عَلَى ٱلْكَفِينَ فَيُحَبُّونَهُ الْكَفِينَ يَحْبُونَ لَوْمَةَ لَآبِمِ يَعْبُونَ لَوْمَةَ لَآبِمِ يَعْبُونَ لَوْمَةَ لَآبِمِ فَالْكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَأَهُ وَٱللَّهُ وَسِعُ عَلِيمُ ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَأَهُ وَٱللَّهُ وَسِعُ عَلِيمُ ﴾



^{. 411/0}

⁽١) انظر: الدر المنثور، السيوطي ٥/ ٢٧٨.

⁽٢) انظر: لطائف الإشارات، القشيري ٢/ ٢٠٧.

إن الله تعالى أنباً في هذه الآية الكريمة عن قصة أبي بكر الصديق البطولية في حرب أهل الردة، فإن هذه الآية تفترض أنه إن ارتد أحد عن الإسلام، -كالذين فرقوا من المرتدين بين الصلاة والزكاة-؛ فإن الله تعالى سوف يأتي بقوم، أمثال أبي بكر الصديق، ومن تبعه بعد عزمه الأكيد، هؤلاء القوم يتمتعون بصفات، منها: أنهم أصفياء الصدور، ملتصقون بالله تعالى في شتى مناحى حياتهم.

وبالتالي فإن الله تعالى يحبهم، وتحصيل حاصل فإنهم يحبون الله عز وجل، وهم مع ذلك لينوا الجانب، في أقوالهم وهيئاتهم مع المؤمنين، وبالتالي يحافظون على سلامة المجتمع من التفكك، وتحصين الجبهة الداخلية للمؤمنين، وهم يتعالون عن الهفوات، التي قد تصدر من البعض.

وفي مقابل ذلك، فهم أشداء في أقوالهم وأعالهم وأحوالهم على الكفار، فلا مداهنة ولا مجاملة لأولئك البعداء، ودليل ذلك أنهم يجاهدون في سبيل الله تعالى وحده، ولا يخافون لومة لائم من الناس عمومًا، وكل هذه الشمائل والصفات الخيرة إنما هي بفضل من الله تعالى وحده، والله واسع على مله.

وهذه الآية لا تتكلم عن جانب حدث، أو سيحدث في حياته، وإنما تتكلم عن جانب سيحدث بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فإن هذه الآية مدحٌ ضمنيٌّ لسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومن ثم الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

وجاء في لفظة (يرتد) قراءتان، هما (يرتدد) حيث قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي، و(يرتد) التي ذكرناها، حيث قرأ بها نافع وابن عامر وأبو جعفر (٢).

وكلتاهما لغتان؛ حيث إنه من شدّد الدال وأدغمها؛ قرأ بها على لغة من لغات العرب، وكذلك من خفف الدال، ولم يدغمها، وحرّك الدّالين (٣).

ويلاحظ أن هذه الآية فسّرت الرحمة المذكورة في آية الفتح بأنها الذلة، ففي قوله تعالى: ﴿ تُعَمَّدُ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَمُ وَأَشِدًا مُعَلَى الْكُمُّ الرَّحَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

دليلٌ عمليٌّ على ضرورة أن يغلب على المجتمع المؤمن الرحمة فيما بينهم، والتي تعني الذلة، بأن يعفو بعضهم عن زلات

⁽۱) انظر: تفسير القرآن، السمعاني ۲/ ٤٧، تفسير الراغب ٤/ ٣٧٩، الكشاف، الزمخشري ٦٤٣/١.

⁽٢) انظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد ص٥٤٢، المبسوط في القراءات العشر، ابن مهران الأصبهاني ص١٨٦.

⁽٣) انظر: معاني القراءات، الأزهري ٣٣٤/١، الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه ص١٣٢، الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي ٣/ ٢٣٢.

وإن الرجولة الحقيقية كما تذكر الآية ليست في العزة على المؤمنين، بل في الذلة لهم، ومن ثمّ الشدة على الكفار، وعدم الخوف من لوم الناس لهم في جهادهم ضد الباطل، وبهذا تتجسد السماحة بحقيقتها في المجتمع المسلم؛ إذ إن المؤمن يجتهد في أن تكون دعوته إلى ربه تعالى مشتملة على شتى معاني الحب والحنان والاحترام لكل أبناء المجتمع الإسلامي.

ويقول تعالى: ﴿ يَنَاتُهُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسَخَرُ فَمْ مِن فَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرا مِنْهُمْ وَلَا فِسَامَةُ مِن فَيْمَ مِن أَن يَكُونُوا خَيْرا مِنْهُمْ وَلَا فِسَامَةُ مِن فِسَاءً مِن فِسَاءً وَلَا نَلْمِزُوا الْفُسُوقُ بَعْدَ وَلَا نَلْمِنُوا الْفُسُوقُ بَعْدَ وَلَا نَلْمِنوُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانُ وَمَن لَمْ يَتُبُ فَأُولَتِهِكَ مُمُ الظّلاِمُون اللَّهِ مَنْ الظّنِ إِنْ أَلْفَامُونَ اللَّهُ مَنْهُ أَوْلَتِهِكَ مُمُ الظّلاِمُونَ اللَّهُ مَنْهُ أَلْفَانِ إِنَّ بَعْضَكُم بَعْضَا الظّنِ إِنْهُ وَلَا يَعْتَبُ بَعْضَكُم بَعْضَا الظّنِ إِنْهُ أَوْلَا يَعْتَبُ بَعْضَكُم بَعْضَا اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ الظّنِ إِنْ الْمُعْدَى مِن اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْهُ اللّهُ مَنْهُ وَعَمَانِكُو شُعُونَا اللّهُ أَنْ اللّهُ مَنَّاتُ وَجَعَلْنَكُو شُعُونَا اللّهُ مِن ذَكْرٍ وَأَنْفَى وَجَعَلْنَكُو شُعُونَا وَقَالَى اللّهُ مَنْ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَنْ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ

أُلَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١١-١٣].

فالقرآن الكريم منع الاستهزاء من المؤمنين لبعضهم بعضًا، ولا التنابز بالألقاب؛ فقد يكون ذلك موصلًا إلى الفسوق، ومنع كذلك الظن السوء بالمجتمع المسلم، مع ما يجره من تجسس، وغيبة.

وبالتالي فإن هذا كله يودي بحياة مجتمع الفضيلة، ولذلك فإن القرآن يستدرك ببيان أن معيار الأكرم هو الأتقى، وبالتالي لابد من التوحد بين أوساط المجتمع، فإن تقسيم المجتمع إلى شعوب وقبائل، لا يجمعه إلا الإيمان.

وعلى ذلك فإن جانب السماحة لا بد أن يسود هذا المجتمع؛ حتى يسود النظام الإسلامي الذي يستوفي شتى متطلباته عن طيب نفس من الجميع (١)، وهذا هو تحكيم الشريعة على حقيقتها.

لقد سطّر الإسلام أروع معاني إحسان الظن، والعفو عمّن أساء الظن، وليس أدلّ على ذلك من حادثة الإفك، وبالتالي فإن الله تعالى خلّد ذكر هذه القصة بتفصيلاتها في سورة النور، ومنها قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا الله مَعَمّتُوهُ ظُنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِمِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَلَا إَفْكُ مُبِينٌ ﴾ [النور: ١٢].

⁽۱) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٩٧/٢٢، تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين ٢٦٣/٤.

السماحة في الخصومات

أولًا: مقابلة الإساءة بالإحسان:

المجتمع المسلم متسامح فيما بينه بطبعه، ومن علامات السماحة، أنه يقابل الإساءة بالإحسان، وسيمثل هذا المطلب إن شاء الله نموذجًا قرآنيًّا يوضح معالم الإحسان في مقابل الإساءة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَنْ وَأَمْرٌ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُعْمِينِ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

حيث تبين هذه الآية أنه في سياق بناء المجتمع الإسلامي على أروع معاني إرساء الفضيلة، تبين هذه الآية الكريمة خلقًا عظيمًا، وهو العفو، فكما بينت الآية السابقة أن الكفار إن يدعوا من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يسمعوا، وهم ينظرون إليه صلى الله عليه وسلم، ولكنهم لا يبصرون الحق، وبالتالي عدم الالتزام في القلب، ولا في القول، ولا في العمل للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته.

وتأتي هذه الآية الكريمة لتأمر النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم، على وجه الإلزام والإيجاب بالعفو، الذي هو من ألفاظ الأضداد، فهو محو سيئاتهم من ذاكرته صلى الله عليه وسلم، وفتح صفحة جديدة، وهو أيضًا العفو الذي هو بمعنى الفضل والزيادة، فالمقصود إذًا في هذه الآية الكريمة أن

يأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الخير من حياة الناس في أخلاقهم وأعمالهم، في كافة أوساط المجتمع المسلم، وذلك بعد التصفية والتنقية، عليك أن تأمر بالمعروف كله، وحتى لا تتأثر نفسية الداعية سلبًا تجاه أهل السوء يجب الإعراض عن الجهلة، الذين يفسدون المجالس بسوء نية أو بسوء عمل، أو بكليهما(۱).

ثانيًا: السماحة في الحقوق:

إن السماحة ما تركت مجالًا من المجالات إلا كانت الركن الأساس في روحه وجوهره، ومن ذلك الحقوق، وفيما يأتي ذكرٌ للسماحة في بعض الفروع الحقوقية:

١. القصاص.

من سماحة الإسلام أنه جعل القصاص حقًّا لمن وقع عليه الظلم بما يوجب حدًّا؛ لكنه ذكر ضابط القصاص، وهو ما يعني المماثلة في العقاب دون إسراف، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا نَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا مِأْلُحَقِّ وَمَن قُبْلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَمَلنا لِوَلِيِّهِ سُلَطَننا فَلا يُسْرِف فِي الْقَدِّلُ إِنَّهُ كَانَ مُنْصُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٣].

فقد بينت الآية أنه لا يجوز قتل النفس

⁽۱) انظر: تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين ۲/ ۱۹۲۲، تفسير السمرقندي ۱/ ۷۲۲.

عمومًا، فكلها حرّم الله قتلها إلا بحقها، وحق النفس في قتلها لا يكون إلا بإحدى ثلاث.

وهو ما ذكر في الحديث المتفق عليه، عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحلّ دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله، إلّا بإحدى ثلاث: النّفس بالنّفس، والثيّب الزّاني، والمارق من الدّين التّارك للجماعة)(١).

وتبين الآية أيضًا أن الذي يقتل عمدًا من غير هذه المسوغات الثلاثة، فقد جعل الله تعالى له وليًّا، وهو ورثته مهما تعددت، وبالتالي يكون القاضي هو السلطان، يخير الأولياء بين القصاص من القاتل نفسه دون إسراف إلى غيره، أو الدية، وتسمى الدية في هذه الحالة عفوًا؛ لأنها محوَّ لحكم القتل الذي هو قصاص (٢).

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ الْمَنْوَاكُنْيِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَنْلَى الْحُرُّ بِالْحُرُّ وَالْمُنْقَ الْمَائِلُ الْمُثَلِّ فَمَنْ عُفِى لَهُ مِنْ الْمَنْدُ مُنْ عُفِى لَهُ مِنْ الْجَسِنْ الْمَعْرُوفِ وَأَدَاءً إِلَيْهِ بِإِحْسَنَيُّ وَلِكَ تَخْفِيفُ مِّن رَبِيكُمْ وَرَحْمَةً فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ وَلِكَ تَخْفِيفُ مِّن رَبِيكُمْ وَرَحْمَةً فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ

ذَاكِ فَلَهُ عَذَاكُ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

فالعفو هنا ترك الدم، وبقاء الدية (٣)، فالأمر حينها لأهل القاتل العمد بالأداء الحسن لهذه الدية، واتباع المعروف، أي: المطالبة بالدية من أهل المقتول (٤).

٢. الدعاوي والقضاء.

قصة بني أبيرق، التي تدلل على عظيم سماحة الإسلام، وبقيت الآيات الاثنتا عشرة شاهدًا حيًّا على تلك السماحة، في أروع قسط عرفه التاريخ.

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْرَلْنَا إِلَيْكَ اللّهُ الْكِذَبَ إِلْحَقِّ لِتَحْكُمُ بِيْنَ النَّاسِ مِمّا أَرْنِكَ اللّهُ وَلا تَكُن لِلْحَامِينِينَ خَصِيمًا ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللّهَ إِنَ اللّهَ إِنَ اللّهَ لا يُجُدِلُ مَن اللّهِ إِنَ اللّه لا يُجِبُ اللّهُ اللهِ يَعْمَلُونَ اَنفُسَهُمْ إِنَّ اللّه لا يُجِبُ لِلْ مَن كَانَ خَوَّانًا أَرْسِمًا ﴿ وَلَا اللّهُ لا يُجْبُ وَلَا اللّهُ لِي اللّهُ اللهُ عِمْلُ اللّهُ عِمَا يَعْمَلُونَ مِنَ النّاسِ مَن كَانَ خَوَّانًا أَرْسِمًا ﴿ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مَن النّاسِ مَا لا يَرْخَىٰ مِنَ الْفَوْلُ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مَن النّاسِ مَعْمُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عِمَا يَعْمَلُونَ مَا لا يَرْخَىٰ مِنَ الْفَوْلُ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ اللّهُ عِمْلُ اللّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْحَيْوَةِ اللّهُ أَنْ اللّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْحَيْوَةِ اللّهُ أَنْ اللّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا اللّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ اللّهُ يَعْمَلُونَ اللّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ اللّهُ يَعْمَلُ اللّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ اللّهُ عَلْكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا اللّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ اللّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ اللّهُ عَنْهُمْ وَمُن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكُولًا اللّهُ وَمُن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكُولًا اللّهُ وَمُن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكُولُولُ اللّهُ عَنْهُمْ يَوْمُ اللّهُ عَنْهُمْ اللّهُ عَنْهُمْ اللّهُ عَنْهُمْ عَلُولُهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ وَمَن يَكُونُ اللّهُ عَلْهُمْ عَلْمِيمًا اللهُ عَنْهُمْ عَلْمُ اللّهُ عَلْهُمْ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلِيمًا اللّهُ وَمَن يَكُسِبُ خَطِيمًا وَلَا اللّهُ عَلْهُمْ عَلَى اللّهُ عَلِيمًا عَلَيْهُمْ وَمَن يَكُسِبُ خَطِيمًا وَلَا اللّهُ عَلَيْهُمْ الللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلِيمًا عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ الللّهُ عَلْهُمْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ اللّهُ عَلِيمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ عَلِيمُ اللّهُ عَلْمُ

⁽۱) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: (أن النفس بالنفس)، ۹/٥، رقم ۲۸۷۸، ومسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب ما يباح به دم المسلم، ۳/۲/۲، رقم ۱۳۷۲.

⁽٢) انظر: جامع البيأن، الطبري ١٧/ ٤٤٠، أحكام القرآن، الكيا الهراسي ٤/٥٩.

⁽٣) انظر: معانى القرآن وإعرابه، الزجاج ١/ ٢٤٨.

⁽٤) انظر: المصدر السابق.

بِهِ-بَرِيّنَا فَقَدِ احْتَمَلُ مُّبَتَنَا وَإِثْمَا شُبِينَا اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْتُهُ فَلَمْتَ طَآبِفَ فَ فَضُلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْتُهُ فَلَمْتَ طَآبِفَ فَ مِنْ فَيْ فُولُونَ إِلاَ أَنفُسَهُمْ مُّ وَمَا يَضِلُونَ إِلاَ أَنفُسَهُمْ أَوْمَا يَضُلُونَ إِلاَ أَنفُسَهُمْ أَوْمَا يَضُلُونَ إِلَا أَنفُسَهُمْ أَلَاكِنَبَ وَالْمِحْكَةَ وَعَلَمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا الله عَلَيْكَ عَظِيمًا اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا الله فَكُن تَعْلَمُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا الله وَمَن يَجُونِهُمْ إِلَامَنَ أَمْرَ بِصَدَقَةٍ وَمَن يُشَاقِق الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا نَوْلِيهِ اللهُ لَا يَشْرِكَ بِهِ-وَيَعْفِرُ مَا دُونَ مَعِيرًا وَمَن يُشَاقِق الرَّسُولَ مِن بَعْدِ فَوَلِيهِ مَا نَوْلَى وَنُصْلِهِ عَمْ يَشْرِكَ بِهِ-وَيَعْفِرُ مَا دُونَ مَعِيرًا اللهُ وَمَن يُشَرِق بِاللهِ فَقَدْ ضَلَ ضَلَالًا اللهُ وَمَن يُشْرِكَ بِهِ-وَيَعْفِرُ مَا دُونَ اللهِ فَقَدْ ضَلَ ضَلَالًا وَمُن يَشْرِكَ بِهِ-وَيَعْفِرُ مَا دُونَ اللهِ فَقَدْ ضَلَ ضَلَالًا وَمُن يُشْرِكَ بِهِ-وَيَعْفِرُ مَا دُونَ اللهُ لَا اللهُ وَمَن يُشْرِكَ بِهِ-وَيَعْفِرُ مَا دُونَ اللهِ فَقَدْ ضَلَ ضَلَالًا وَمَن يَشَرِكُ إِللهِ فَقَدْ ضَلَ ضَلَالًا فَعَدْ فَلَ صَلَامَ اللهُ اللهُ لَا اللهُ الل

عن قتادة بن النّعمان رضي الله عنه، أن بني أبيرق بشرًا وبشيرًا ومبشّرًا، وكان أحدهم منافقًا يهجو بشعره أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ثمّ ينحله بعض العرب، ثمّ يقول: قال فلانٌ كذا وكذا، فإذا سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الشّعر قالوا: والله ما يقول هذا الشّعر إلّا هذا الخبيث، أو كما قال الرّجل، وقالوا: ابن الأبيرق قالها، قال: وكانوا أهل بيت حاجةٍ وفاقةٍ، في الجاهليّة والإسلام، وقد ابتاع رفاعة بن زيد بضاعةً، فلمّا أصبح أتى رفاعة إلى قتادة بن النعمان، فقال: يا

ابن أخي إنّه قد اعتدي علينا في ليلتنا هذه، فنقبت مشربتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا. قال: فتحسّسنا في الدّار وسألنا فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه اللّيلة، ولا نرى فيما نرى إلّا على بعض طعامكم.

قال: وكان بنو أبيرقي قالوا ونحن نسأل في الدّار: والله ما نرى صاحبكم إلّا لبيد بن سهل، رجلٌ منّا له صلاحٌ وإسلامٌ، فلمّا سمع لبيّدٌ اخترط سيفه وقال: أنا أسرق؟

فوالله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة، قالوا: إليك عنها أيها الرّجل فما أنت بصاحبها، فسألنا في الدّار حتى لم نشك أنهم أصحابها، فقال لي عمّي: يا ابن أخي لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له.

قال قتادة: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إنّ أهل بيتٍ منّا أهل جفاء، عمدوا إلى عمّي رفاعة بن زيد فنقبوا مشربة له، وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردوا علينا سلاحنا، فأمّا الطّعام فلا حاجة لنا فيه، فقال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: (سآمر في ذلك).

فلمّا سمع بنو أبيرق أتوا رجلًا منهم يقال له: أسير بن عروة فكلّموه في ذلك، فاجتمع في ذلك ناسٌ من أهل الدّار، فقالوا: يا رسول الله إنّ قتادة بن النّعمان وعمّه عمدا إلى أهل بيتٍ منّا أهل إسلام وصلاح،

يرمونهم بالسّرقة من غير بيّنةٍ ولا ثبتٍ، قال قتادة: فأتيت الرسول صلى الله عليه وسلم فكلّمته، فقال: (عمدت إلى أهل بيتٍ ذكر منهم إسلامٌ وصلاحٌ ترميهم بالسّرقة على غير ثبتٍ وبيّنةٍ).

قال: فرجعت، ولوددت أتي خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، فأتاني عمّي رفاعة فقال: يا ابن أخي ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: الله المستعان، فلم يلبث أن نزل القرآن بهذه الآيات (١).

وقد حفل القرآن الكريم بذكر جوانب عديدة من السماحة في الخصومات، بما يعزز جانب الأخلاق الرفيعة التي حظيت بها دعوة الإسلام.

جزاء أهل السماحة في الدنيا والأخرة

باستعراض ما سبق يظهر أن روح السماحة كان في الجو العام للآيات القرآنية، وكان من الطبيعي أن يورث هذا الموضوع ثمرات لمن يلتزمون خط السماحة في دراستهم القرآنية، وفيما يأتي الحديث عن جزاء أهل السماحة في الدنيا والآخرة.

أولًا: الجزاء في الدنيا:

السمعة الطيبة، والمناقب الحسنة.

فإن مفهوم المخالفة أن السمعة الطيبة والمناقب الحسنة، كانت بسبب سماحة الرسول صلى الله عليه وسلم، في تعامله مع المسلمين، رغم مخالفتهم لاجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم في قضية القتال داخل المدينة، أو خارجها يوم أحد، فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعلمهم درسًا عمليًا مؤلمًا بوجوب الالتزام بأمره صلى الله عليه وسلم، وعدم النزول عند آرائهم؛ لأنها النبوة، وما أن تكشفت نتائج المعركة؛ حتى

وحُسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي / ٣٢٦.



 ⁽۱) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة النساء، ٢٤٤/٥، رقم ٣٠٣٦.

لان في القول، وأصبح يخفف عنهم، ويؤمر بالعفو عنهم والاستغفار، ومن ثمّ معاودة مشاورتهم؛ لكن إذا عقد العزم على القيام بالمهمة، فليقم بها، وليتوكل على الله تعالى وحده (۱).

دفع الأذى بجميع مناحيه عن أهل السماحة.

ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَصْدَعُ مِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ اللَّهِ إِنَّا كَفَيْنَكَ الْمُشْتَبْرِهِ بِنَ ﴾ [الحجر: ٩٥-٩٥].

فإن الصدع بالحق، والالتزام بما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أكبر دليل على السماحة، فهم قد تجرؤوا في ارتكاب الباطل كثيرًا، والتبجح، ومع ذلك فالأمر للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بالانضباط العالي بتعاليم الحق، والبشرى له صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى كفاه المستهزئين، فذلك ثمرة من ثمرات السماحة التي تحلى بها خير الخلق، وحبيب الحق محمد صلى الله عليه وسلم (٢).

٣. زيادة الإيمان في القلب.

فإن الصحابة رضي الله عنهم في حمراء الأسد حينما قال لهم الناس إن الناس قد

جمعوا لكم، وهم كفار قريش، لم يضعف أملهم في الانتقام مما حدث في غزوة أحد، أو يداخلهم الرعب، وإنما لجأوا إلى الله تعالى، واكتفوا بالله تعالى حسيبًا ونصيرًا، فكانت النتيجة أنهم أصيبوا بالنعم الجمة، ولا يمسهم السوء، وأنهم هدوا إلى رضوان الله تعالى (٣).

كما قال تعالى: ﴿ اللَّهِ مَا لَكُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ وَلَا جَمَعُوا لَكُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ وَلَا جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَنْنَا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿ اللَّهِ فَانْقَلَبُواْ بِيمَانَا اللّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَمُهُمْ مُثُورٌ وَأَشْبَعُواْ بِيمِعُونَ اللَّهِ وَفَضْلٍ كَمْ يَمْسَمُهُمْ مُثُورٌ وَأَشْبَعُواْ بِيمِعُونَ اللَّهِ وَفَضْلٍ كَمْ يَمْسَمُهُمْ مُثُورٌ وَأَشْبَعُواْ بِيمِونَ اللَّهِ وَفَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: يضون الله والله والله والله عمران: الله عمران:

الهداية إلى القول الحسن، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهُ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلَاحِدِ جَنَّنَتِ تَجْرِى مِن تَعْتِهَا الْأَنْهَدُرُ يُحَكِنُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِدَ مِن ذَهَبٍ وَلَوْلُوَّا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿ اللّهَ وَهُدُوَا إِلَى الطّيّبِ مِن الْفَوْلِ وَهُدُوا إِلَى الطّيبِ مِن الْفَوْلِ وَهُدُوا إِلَى الطّيبِ مِن الْفَوْلِ وَهُدُوا إِلَى مِن اللّهِ مِن الْفَوْلِ وَهُدُوا إِلَى مِن اللّهِ اللّهِ مِن اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ فَا إِلَى الطّيبِ مِن الْفَوْلِ وَهُدُوا إِلَى الطّيبِ مِن اللّهَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ اللّهُ مِنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللل

الوقاية من المكر الذي يحيكه الكفار.

كما في قصة مؤمن آل فرعون.

⁽٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم / ٨١٧.

⁽۱) انظر: جامع البيان، الطبري ٧/ ٣٤٠، الكشف والبيان، الثعلبي ٣/ ١٩٠.

⁽۲) انظر: تفسير ألقرآن العزيز، ابن أبي زمنين ۲/ ۳۹۲.

ثانيًا: الجزاء في الآخرة:

- الهداية إلى صراط الحميد، كما ذكرت الآية السابقة.
- الدخول في الجنة، كما سبقت الإشارة
 في قصة حبيب النجار.
- آرضا من الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَ النِّينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ اللّهِ يَقِي إِنَّ الْمَرْيَةِ ﴿ ﴾ الصّالِحَتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ اللّهِ يَقِي مِن تَمْنِهَا جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنّتُ عَدْنِ تَعْمِى مِن تَمْنِهَا اللّهَ عَدْنِ تَعْمِى مِن تَمْنِها اللّهَ عَدْنَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِي رَبّهُ ﴾ [البينة: ٧-٨].

وغير ذلك من الفضائل التي تدلل على أن القرآن الكريم بين ثمرات أهل السماحة في الآخرة، كما بينها في الحياة الدنيا.

موضوعات ذات صلة:

الرحمة، العفو، اليسر

